الدكتور علي مرتضى الأمين

صادق حمزة الفاعور





دار اسيا

الدكتور علي مرتضى الأمين

صادق حمزة الفاعور

١٨٩٤ - ١٩٢٦

دار اسيا
للطباعة والنشر والتوزيع

دار آسيا للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - الحمراء - شارع المقدسي - بناية مروة، الطابق الخامس.
ص. ب: ٥٩٠٥/ ١٣ تلكس ٢٠٣٧٦ - لبنان اتكو.
هاتف: ٣٤٧٢٦٩ - ٣٤٧٩٤٩ - ٣٤٢٣٦٨.

الطبعة الأولى - الفصل الأخير ١٩٨٥

الاهداء

بسم الله وبعد...

أحييك تحية علم ومحبة.
وأشهد انك علمتني...
أن أكون باحثاً حراً.
أنْ أقتل الحروف إحياءً وتحديثاً.
انْ أضحك للصعاب في كل آن.
انْ أرفع بيدي مشعل العطاء منيراً أبداً لوجه الله.
فإليك يا معلمي
إليك يا ملهمي...
اهدي باكورة أعمالي
يزحمني اثناء مسيري إليك
طمعي في حسن تقديرك
وتجاوزك عن كل خطيئة تشهدها..
إلى الدكتور اسعد أحمد علي.. مع أطيب التحيات.

شقراء في ١٩٧٧/١١/٢٨
علي الأمين

كلمة الناشر

إن مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، هي مرحلة تقرير مصير قومي وسياسي، ومرحلة رسم لجغرافيات جديدة مفتعلة، ومحو لحدود كانت قائمة، وتبديل وإبدال، أي مرحلة طغمة دولاتية نهجت ما استطاعت الى مسخ القيم، والإستهتار بأماني كثير من الشعوب، والضحية الكبرى، كانت تلك البلدان الواقعة تحت النير السلطاني العثماني.

والوطن العربي إحدى تلك الضحايا، حيث انشبت اعتى امبرياليتين حقدها فيه، مدركة ابعاد ثروته والأسباب التي يمكن أن تحفظ تلك الثروات مصادر الطاقة وعصب التطور، ومدركة ان تركه كتلة جغرافية وقومية، إنما شبح لعملقته السالفة، حيث كان قد اثبت قدرته الحضارية، وقدرته في تعميم حضارة اتسمت بالتفوق، وجاءت بديلاً عن الهزال البنيوي للمجتمع الأوروبي آنذاك.

وكتابنا هذا في موضوعه، يعيد طرح أحكام جاءت مجحفة بحق صادق حمزة الفاعور في محاولة لإنصاف رجل انطلق ساذجاً فرافضاً فثائراً قومياً وبذلك يعكس المؤلف برصانة وجع هذا الوطن، وتمزقه الى نتف طوائفية ودينية في أقل ما ادت اليه، هذا الواقع المشرذم، الاصطراعي المتنابذ بين

دويلاته من جهة، وبين اهليه قطرياً من وجه آخر - وللقارىء الحُكْمَ على مضمون هذا الكتاب الذي يعالج مرحلة حساسة، هي تغريب تراثنا وشعبنا عن جذوره والتنكيل بأبطال اخذوا طريقهم إلى المقاومة، ضداً على مشاريعهم ونزوات ادواتهم، كخلاصة ورفضٍ للجريمة الفرنسية - الإنكليزية مباشرة، والولايات المتحدة مداورة.

ونعاهد، أن لا نترك، أو نتوانى، عن المساهمة حيث نعتقد الفائدة القومية اولاً والإنسانية ثانياً وأخيراً.

الناشر

المقدّمة

مقدمة الطبعة الأولى

إنها محاولة متواضعة لدراسة صفحة من صفحات جبل عامل، أخذت على نفسي أن امسح الغبار عنها بعد أن تراكم زمناً، اذ خشيت أن تلحق بأخواتها اللواتي بلين بعد ان تركت هملاً عن مقصد او عن غير قصد فكاد يتساهن التاريخ ايضاً لولا قلة من العلماء والأدباء المهتمين حديثاً بشؤون وشجون هذا الجبل.

ومع ان البحث في تاريخ جبل عامل بوجه خاص عمل شاق يكتنفه الغموض ويحيط به الإبهام لقلة المستندات التي اخفيت وضياع الوثائق التي قد تساعد الباحث - إن هو رجع اليها - على تحليل الحوادث السالفة واستنباط الأدلة والبراهين من بين السطور ومن خلف الكلمات، فأكثر المؤلفات في تاريخ جبل عامل لعبت بها ايدي الضياع وبدّدتها الحوادث في عصر كانت البلاد فيه تسبح في بحر من الدماء وتهزها الفتن وترهقها الحروب.

ومع هذا كله.. فقد رافقني شعور كظلي منذ زمن والحّ عليّ وفائي لملاعب صباي ان انقل ولو خطوة واحدة إلى الأمام على درب البحث

المهجي على اوفق في كشف خبايا آثار من تقدم من العامليين، وضُيّع إهمالاً او تناسيا.

وبعد جولات بحث وتأمل وجدت نفسي محاطاً بزحمة مواضيع كلها تمدّ اعناقها من قمقم مختوم تحاول الافلات، تحدثت إلى غالبيتها، ومن بين الزحام استوقفني صادق حمزة الفاعور شاكياً فاستمعت إلى شكواه واحببت أن اتقصى أخباره وبدأت عملية بحث وتمحيص واذ بعموم الناس قد ظلموه ذلك لأنهم اخذوا بالاشاعات ولم يكن عندهم حس المقارنة والتحليل.. لذلك عدّوه لصاً سارقاً قاطع طرق، خارجاً على القانون ودعوه مع اصحابه باسم عصابة صادق حمزة. فشعرت بالعطف عليه وأحببت ان الاحق اخباره واستنطق مختلف الصور التي خلفها في اذهان عارفيه على اختلاف مستوياتهم وميولهم عليّ بذلك استطيع ان اتوصل الى التعرف على صورته الحقيقية اذ ليس من المستبعد ان يكون بعضهم قد شوّه صورته عن عمد وعن غير عمد.. فإذا توصلت إلى الحقيقة اكون بذلك قد ألبسته الزي الذي كان يرتديه.. وقد يؤدي عملي هذا الى دحض ظلامة الصقت به اذ أكون بذلك قد كشفت للناس حقيقة امره ذلك تقديراً مني لجهد بذله طيلة فترة دقيقة وحرجة من فترات البؤس التي مرت على جبل عامل. وبهذا أكون قد صححت خطأ شائعاً وبذلك اكون أيضاً قد رددت ادعاءات اولئك المنظرين الذين ما يزالون حتى اليوم يقعدون على الصفحات في الساحات العامة يعرون الناس من ثيابهم أو يلبسونهم الزي الذي يريدون في حين انهم عراة ابداً ولا عمل لهم يقومون به فيخدمون بواسطته المجتمع الذي يعايشون.

وفوق هذا فإني على يقين من ان التاريخ العاملي كتبه.

ا ـ من كان بعيداً عن جبل عامل إبّان الأحداث ولذا فقد كتب بعصبية او عن جهل ما خلاله، ولا استبعد ابداً ان فئة من هؤلاء كتبت ذلك التشويه عن سابق تصميم واصرار يحدوها إلى هذا، تشويه صورة هذا الشعب العاملي عمداً.

ب ـ أن يكون الكاتب عاملياً بالولادة بعيداً عنه بالولاء، فكتب وصولياً فأضاع نفسه قبل ان يضيع تاريخ شعبه.

جـ ـ القلة النادرة هي وحدها التي كتبت تاريخ هذا الجبل ولكن كتاباتها ظلّت حبيسة الأدراج ومنعت من ان ترى النور إذ كان واضعوها يعاقبون بالموت أو التشريد ولذا فكأنهم لم يكتبوا لينشروا وإنما كانت كتابتهم بمثابة (فشة خلق).

ومن هنا كانت حاجة الطلاب العامليين اليوم إلى مراجع صادقة ليكتبوا تاريخاً صادقاً وواضحاً ـ ومن هنا نجد غالبية الدارسين يهربون من حفائر جبل عامل ليلقوا بأنفسهم في حفائر أكثر سهولة وأوفر مادة في بقاع تبعد كثيراً عن قمم وتلال هذا الجبل الأشم حيث كانت تلك التلال منارات في التاريخ ولا تزال.

ولما كنت افتقر كغيري إلى المراجع والمصادر التي تتحدث عن صادق حمزة بالتفصيل لكني لم انتقل ابداً إلى أية حفيرة غير عاملية.. وصممت أن انبش بيدي كل مسلك من مسالك تلك الحفائر لذا بدأت جولة على المكتبات ابحث عن كتب، سبق علمي ان واضعيها اهتموا بالتاريخ العاملي وأنهم سجلوا ما توصلوا إليه بعد بحث وتمحيص

وتعرفت اثناء بحثي على كتب اخرى اشارت فهارسها إلى ان واضعيها كتبوا عن بعض الزوايا العاملية.

اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ محسن الأمين في خطط جبل عامل طبعة أولى ١٩٦١ مطبعة الانصاف بيروت.

٢ ـ حسن الأمين: في حمد بك المحمود، أو الحياة الشعرية في جبل عامل ١٩٧٤ دار الرائد العربي بيروت.

٣ ـ محمد جابر آل صفا العاملي في تاريخ جبل عامل دار متن اللغة.

٤ ـ علي الزين في كتابيه: أ ـ مع الأدب العاملي ـ الطبعة الجديدة.

ب ـ للبحث عن تاريخنا في لبنان الطبعة الأولى ١٩٧٣.

أما الكتب التي اشارت فهارسها إلى عناوين تتعرض لأحداث عامل عرضاً فأذكر منها:

١ ـ سلام الراسي: المؤلفات الكاملة الطبعة الثانية ١٩٧٧ مؤسسة نوفل بيروت.

٢ ـ جورج انطونيوس: في يقظة العرب . أو حركة العرب القومية طبعة ثالثة ١٩٦٩ ترجمة الدكتورين: حسان عباس وناصر الدين اسد. دار العلم للملايين ـ بيروت.

٢ ـ زين نور الدين زين في كتابيه:

أ ـ الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان طبعة ثانية ١٩٧٧ دار النهار للنشر ـ بيروت.

ب ـ نشوء القومية العربية مع دراسات في العلاقات العربية التركية. طبعة ثانية ١٩٧٢ دار النهار للنشر ـ بيروت.

٣ ـ ضاهر مسعود: في تاريخ لبنان الاجتماعي طبعة ١٩٧٤ دار الفارابي بيروت.

٤ ـ مذكرات احمد رضا التي نشرت على صفحات مجلة العرفان

مجلد رقم ٣٣ الاجزاء ٢ ـ ٣ ـ ٥.

مجلد رقم ٣٤ الاجزاء ٣ ـ ٦ ـ ٨.

مجلد رقم ٣٥ الجزء ٧.

وبعد هذا عدت إلى نتف نشرت على صفحات جرائد يومية أذكر منها:

جريدة البشير لسنتي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠.

ـ جريدة لسان الحال لسنة ١٩٢٠.

ـ مجلة المشرق لسنة ١٩٢٠.

ـ مجلة الحربة العددان ٨٤٥ ـ ٨٤٦.

وبعد جولة واعية مع تلك المصادر التي ذكرت وبقصد الاستزادة من اخبار صادق وجدتني بحاجة ماسة إلى تقصي اخبار هذا الإنسان عبر حكايا الشيوخ من ابناء بلدته وعبر شيوخ القرى المجاورة فكانت بيني وبين هؤلاء الشيوخ لقاءات استطعت خلالها أن أصل إلى الغاية التي أبحث عنها.

فكانت حكايا ساحات القرى التي مرّ بها صادق حمزة الفاعور ورفاقه وما وجدته لا يزال عالقاً بذاكرة بعض رفاق دربه ممن لا يزالون على قيد الحياة وقد تجاوز عمر واحدهم التسعين تقريباً ولم يزل يحافظ على وعيه

ونشاطه، كانت تلك الذكريات وتلك الحكايا محطات سيري فجمعت حصيلتها واضفتها إلى نتف الاخبار المبعثرة هنا وهناك على صفحات الكتب والمجلات وجعلتها مجتمعة بعد التدقيق والتمحيص فكانت مصادري ومراجعي في هذا التحقيق الذي اعرض فيه سيرة ثائر من بلادي هو صادق حمزة الفاعور مستعرضاً كل الأوضاع السياسية والإجتماعية التي اثرت في سلوكه وحددت مساره.

وقد تبين لي بعد كل تلك المراجعات ان هذا الإنسان ثار على خنوع مجتمعه وقام لأجله، وتمرّد على النظام السائد في تلك في تلك الحقبة المظلمة ورضي ان يعيش طائحاً فراراً في الكهوف والمغاور..

ومن أجل هذا اخترت له هذا الإسم وجعلته عنوان كتابي هذا..

وبعد فإنني لم ادخر جهداً في البحث والتنقيب عن أخبار هذا الإنسان وقد أمضيت وقتاً طويلاً أفحص ما وصلت إليه واقوم بعمل المقارنة.. وربما يكون قد فاتني من أخباره امور كثيرة لم استطع الوصول إليها، على انني عثرت أثناء بحثي على مواضيع عاملية، هي بنظري جديرة باهتمام الباحثين العامليين اذكر منها على سبيل المثال.

١ - الأسر الاقطاعية في جبل عامل خلال القرنين ١٨ - ١٩.

٢ - الكتاتيب العاملية ودورها في حفظ اللغة واثرها في الناحيتين السياسية والإجتماعية في جبل عامل.

٣ - علماء جبل عامل رسل علم وحضارة.

وقد تركتها كلها على امل العودة إليها متى اتبحت لي ظروف العودة.
أو لعلها تجد غاية بعض الباحثين.

وأخيراً أرجو أن أكون قد حققت ما كنت أصبو اليه.. وعسى ان

تكون خطوتي هذه فاتحة خطوات اكمل بها دربي وأحقق كشف ما بقي غامضاً في تلك الروابي العاملية.

ولا يسعني بعد هذا الا ان اتقدم بالشكر من جميع الشيوخ الفضلاء الذين منحوني من وقتهم الكثير إذْ رَوَوْا على مسمعي ما شهدوا وما سمعوا من اخبار صادق حمزة الفاعور أو ما اتصل اليهم بالتواتر فكانت شهاداتهم على ما اتفق عليه اجماع شهود الحال لا على مجرد ذكريات فردية.

كما انني لن انسى ان اشكر أولئك الذين ساعدوا بتشجيعهم اياي وتسهيل تنقلاتي أثناء تلك الزيارات لهؤلاء، جميعاً شكري وحبي الصادق.
أسأله تعالى العصمة من الخطأ فهو ولي التوفيق.

شقراء في ١٩٧٧/١٢/٥
علي الأمين

الفصل الأول:

الصراع الدولي حول اقتسام تركة الرجل المريض

أ - أهمية الموقع الجغرافي للوطن العربي:

يمتاز الوطن العربي على غيره من الأوطان بالأمور التالية:

١ - تمر بأرضه الطرق التجارية العالمية التي تصل الغرب بالشرق.

٢ - من جوف اراضيه تخرج ينابيع البترول وفي باطن صحاريه يتجمع مخزون بترولي هام يتدخل ويؤثر في الإقتصاد العالمي.

٣ - على شواطئه تقوم ممرات مائية هامة، الساعة يمتد على اراضي قارتين هما آسية وافريقية كانتا محط انظار الدول الأوروبية في ذلك الوقت ولا تزالان.

هذه المساحة المترامية الأطراف كانت تخضع بشكل مباشر أو غير مباشر لنفوذ الامبراطورية العثمانية، وقبيل مطلع القرن العشرين دب الوهن والضعف الى جسم هذه الدولة ووضح امر زوالها بل تأكد ذلك، فتطلعت أعين الدول الأوروبية الى تلك التركة الضخمة بشراهة وعبرت كل دولة وبوضوح عن رغبتها في الحصول على الحصة التي تريد وعملت في سبيل ذلك بشتى الوسائل.

ب: تصور الحصص:

يمكن تلخيص وتحديد رغبة كل دولة كانت بارزة في ذلك الحين في الحصول على الحصة التالية:

١ - روسيا:

كانت تريد ان تستولي على القسطنطينية والبوسفور والدردنيل لتتخذ منها منفذاً لها على المياه الدافئة (البحر الأبيض المتوسط كان يومها مغلقاً بوجهها).

٢ - فرنسا: طالبت باحتلال سورية وزعمت ان لها اهتماماً خاصاً بمصالح لبنان (جبل لبنان).

٣ - بريطانيا: اعلنت عن حاجتها إلى طريق برية تصلها بالشرق وعملت في سبيل ذلك إلى عقد اتفاقات سرية مع الشيوخ العرب في شبه الجزيرة العربية حيث فرضت بموجبها حمايتها على عدة مشيخات تقوم على شواطىء شبه الجزيرة وقد توصلت إليها عن طريق بذر الخلافات الحادة بين السكان. فاضطرت تركيا إلى الإعتراف بحماية انكلترا لتسع إمارات صغيرة داخل اليمن.

٤ - ايطاليا: كانت لها اطماع في آسية الصغرى أهمها السيطرة على عسير واليمن لتجعل منها قاعدة لها على شواطىء البحر الأحمر الشرقية وكانت من قبل قد احتلت ليبيا.

٥ - المانيا: كانت تريد ان تجد لها اسواقاً داخل الوطن العربي تستطيع بواسطتها منافسة فرنسا وبريطانيا إقتصادياً.

٦ - الهند: كانت تصوب نظراتها صوب العراق.

إزاء هذا الوضع فُتح باب المفاوضات الجانبية في أوائل عام ١٩١٥ وتوزعت هذه الدول معاهدات سرية وقعت خلال السنوات ١٩١٦ و ١٧ و ١٨ قسّمت بموجبها اراضي الامبراطورية العثمانية إلى شرائح تقتطع من املاك السلطان.

ج - العمل على تحقيق المطالب:

نشبت بين هذه الدول المتزاحمة حرب باردة كان سلاحها قبل اندلاع الثورة العربية واشتراك العرب في الحرب ضد تركيا يعتمد على دعاية تقضي بالمفهوم التالي:

قضية الحلفاء قد اصبحت وقضية الاستقلال العربي شيئاً واحداً، فردت المانيا على هذه الدعاية بإنشاء مكتب عربي لها بدمشق واختارت له موظفين من الخبراء الالمان في الشؤون العربية ورصدت له ميزانية محترمة للإنفاق على تلك الدعاية المضادة بسخاء. ثم شددت العقوبات على الفرار من الجيش التركي، وحذرت الناس بأن السلطات ستفرض عقوبات صارمة على كل شخص تجد بحوزته منشوراً مما تلقيه الطائرات البريطانية.

ولكن هذا الصراع لم يدم طويلاً.. ففي روسيا قامت سلطة ثورية عام ١٩١٧ وانكفأت هذه السلطة على اثر ذلك تعالج اوضاعها الداخلية وتفرض على نفسها ستاراً حديدياً وتقرر بذلك مصير المعارك العسكرية ووضح انتصار دول الحلفاء على دول المحور، وامحت مطالب الدول المهزومة في حين أنه استمر صراع النفوذ على اشده بين فرنسا وبريطانيا وكان مسرح هذا الصراع قائماً فوق الأرض العربية.

وقد استعملت في ذلك الصراع اسلحة اللف والدوران والمراوغة وارتداء الأقنعة فراجت الإشاعات والأقاويل ولفقت الحكايا وضخمت الامور الصغيرة واصاب الناس ضياع وذهول فأصبحوا يصدقون كل قول ويتصرفون بعاطفة.

وعلى رغم اختلاف النوايا وتباين الأهداف والأطماع فقد اصدر الساسة البريطانيون وزملاؤهم الفرنسيون في مطلع تشرين الثاني من عام ١٩١٨ م تصريحاً مشتركاً يقول:

إن الغاية التي من أجلها خاضت فرنسا وانكلترا الحرب في الشرق - تلك الحرب التي اثارتها مطامع المانيا - هي تحرير الشعوب التي رزحت طويلاً تحت مظالم الأتراك تحريراً تاماً نهائياً واقامة حكومات وادارات قومية تستمد سلطتها من اختيار الأهلين لها اختياراً حراً. ولتحقيق هذه الغايات في كل من سوريا والعراق البلدين اللذين حررهما الحلفاء وفي المناطق التي لا يزال الحلفاء يجاهدون لتحريرها على ان تعترفا بهذه الحكومات عندما يتم تأسيسها فعلاً... وليس من غرض فرنسا وانكلترا أن تفرضا على الأهلين في هذه المناطق نوعاً معيناً من الحكم إنما همها ان تُتحف بمعونتها وبمساعدتها المناسبة... وأن تضمنا عدلاً متزها يساوي بين الجميع ويسهل عليهم تنمية الاقتصاد في البلاد بإحياء مواهب المواطنين وتشجيعهم على نشر العلم ووضع حد للمنازعات التي طالما انتفعت بها السياسة التركية(١).

(١) - زين نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط. دار النهار للنشر بيروت طبعة ثانية ١٩٧٧ ص ١٢٩.

بعد هذا البيان المشترك اشتد التزاحم الفرنسي - البريطاني في هذه المنطقة... فالحرب العالمية الأولى كانت قد وضعت اوزارها.. وغرقت هذه المنطقة بتصاريح اصدرها رجال بريطانيون أو فرنسيون كانوا قد مثلوا ادواراً هامة في تاريخ هذه المنطقة.

فقد قال سايكس.. وهو احد الموقعين على اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٦ أن عالم ما قبل الحرب قد مات، ولكن عالم ما بعد الحرب لم يولد بعد(١).

ثم جاء تصريح اللورد كيرزون الذي قال: لو إنه يتعين علينا عقد اتفاقيات ١٩١٦ من جديد لما وقعناها(٢).

ثم اقترنت تلك الاقوال البريطانية بقرارات تلزم بالتنفيذ وكانت الغاية منها إلحاق ما أمكن من الخسائر بدولة فرنسا. فقد صدرت قرارات مالية عن القائد العام للقوات الحليفة في المنطقة الجنرال اللنبي تحصر امتياز النقد الرسمي المتداول بالنقود الذهبية لمختلف الدول مع استبعاد الفرنك الفرنسي الورقي من التداول. كما أنها اجبرت فرنسا على ابدال عملة جنودها بالذات بالعملات المعترف بها.

ثم حددت بقرارات لاحقة الضرائب والإلتزامات ورواتب الموظفين بالنقد المصري فبلغت خسارة فرنسا من جراء ذلك لعام ١٩١٩ وحده حوالي ١٢٨ مليوناً من الفرنكات(٣).

(١) - مسعود ضاهر: تاريخ لبنان الإجتماعي دار الفارابي بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٢٩.

(٢) - المرجع نفسه ص ٢٩. مسعود ظاهر: تاريخ لبنان الإجتماعي دار الفارابي بيروت طبعة أولى ١٩٧٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ مسعود ضاهر. تاريخ لبنان الاجتماعي دار الفارابي بيروت طبعة أولى ص ٢٩ محمد سعيد حمادة: النظام النقدي والمصرفي في سوريا ص ٥٣.

في مثل هذه القرارات تتوضح صور الخلافات بين الدولتين..

وتوالت بعد ذلك حملات مسعورة متبادلة ظهرت جلية على صفحات الصحف أو عبر بيانات رسمية وقد اشترك كليمنصو نفسه في هذه الحملات الإتهامية حيث راح يشكو البريطانيين إلى السيد (ستيد) على موقفهم العدائي في سورية فقال له: ان جل ما نريده الآن ان يتفق البريطانيون معنا وان يبعثوا بتعليمات إلى موظفيهم المحليين ليكفوا عن اثارة الناس ضدنا[1].

وكذلك شكا كليمنصو من التباطؤ الذي يمارسه البريطانيون في إجلاء جيوشهم عن سورية لتحل مكانها جيوش فرنسية. كما انه شكا ان اللورد ميلز الذي كان قد وعد ان يساعد فرنسا في تقريب وجهات النظر بينه وبين الأمير فيصل ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا.

وظهرت في الصحف الفرنسية حملة مسعورة ضد بريطانيا تتهمها بالقيام بدعاية معادية لفرنسة في سورية. ومن اجل ذلك فقد بعث الوزير البريطاني المفوض في باريس السيد: ج. غراهام بتقرير إلى اللورد كيرزون لخصّ له فيه محتوى مقالين يعتبران مثالاً على الإتهامات الفرنسية.. فقد نشر في تموز عام ١٩١٩ مقال للكاتب السياسي المعروف روبير دي كاي هاجم فيه الدعاية البريطانية الموجهة ضد فرنسا في الشرق بلهجة عنيفة.

---

(١) زين نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط. دار النهار للنشر طبعة ثانية ١٩٧٧ ص ١٢٧.

ويزعم دي كاي ان الغاية التي تستهدفها هذه الدعاية هي القضاء على النفوذ الفرنسي في سورية وتحقيقاً لهذه الغاية ـ يشجعون على قيام الوحدة العربية في سورية»[1].

ثم أوردت جريدة الوقت ما جاء في مقال دي كاي ثم اضافت قولها: انه من صالح البلدين المتحالفين تحالفاً وثيقاً كفرنسة وبريطانية ان يخلصا الود وان يتصارحا»[2].

ثم ورد في مذكرة بلفور وهو بعد في باريس حول سورية وفلسطين والعراق ما يلي: «ان الاثر الذي تحدثه المشكلة السورية في العلاقات البريطانية ـ الفرنسية امر يحملني على القلق الشديد، قلق لا يخفف من ازعاجه ان ما قيل عن المشكلة قليل وان ما يلمح إليه كثير. وهذه الحقيقة المؤلمة تزيد من مخاوفي. اعني أن فرنسا وانكلترا واميركا تجد نفسها في وضع مضطرب معقد بسبب الورطة السورية بحيث لا ارى احداً في هذه الدول سيخرج منها بحل مرضٍ رتيب»[3].

هذا الصراع الكلامي العلني كان له وقع كبير في نفوس المواطنين فتفرقوا حوله احزاباً وشيعاً وان كانت الغاية منه بالنسبة للدولتين تتمثل بقول انكلترا لفرنسا «اطلقي يدي في الموصل، اطلق يدك في

---

(١) مسعود ضاهر: تاريخ لبنان الإجتماعي دار الفارابي بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٣٠.

(٢) زين نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط. دار النهار للنشر بيروت. طبعة ثانية ١٩٧٧ ص ١٢٥.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ١٢٧.

سورية»[١].

بعد ذلك تطورت القضية اللبنانية التي تفاعلت بين عامي ١٩١٨ - ١٩٢٠ وظهرت عبر فكرتين رئيستين:

أ - استقلال لبنان وانفصاله عن سورية.

ب - استقلال لبنان واتحاده مع سورية في الأمور الخارجية والإقتصادية.

وقد تحددت سياسة فرنسا بين فريقي التطرف، «فهي ضد دعاة الاستقلال التام والانفصال عن سورية وضد دعاة الوحدة الشاملة والاندماج في سورية»[٢] وقد انتهت هذه الحروب الاعلامية بين الدولتين المتنافستين فما هي اسباب هذا الاتفاق:

للملاحظة:

بعد قراءة هذا البيان المشترك.. وبعد تتابع نصوص الصراع الكلامي العلني بين الدولتين.. وبعد تلاحق الاحداث السياسية التي شهدها لبنان خاصة بوجه عام وعاملة بوجه خاص. يدري الباحث ان ذلك البيان كان كذباً وتلفيقاً وان الغاية منه كانت تسعى لامتصاص نقمة وحقد كانا يتفاعلان في نفوس العاملين خاصة واللبنانيين عامة وان الباحث يستطيع وبسهولة ان يتعرف على أسلوب الخداع والتمويه الذي لجأت إليه الدولتان معاً. يؤكد ذلك ان كلاً من الدولتين لم تكن

(١) مسعود ضاهر: تاريخ لبنان الإجتماعي دار الفارابي بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٣٠.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص ٢٧٢.

راضية عن نصيبها الذي ادركته بعد تنفيذ معاهدة سايكس - بيكو لعام ١٩١٦. ومن اجل هذا فقد ساندت بريطانيا كل محاولات العنف التي ظهرت تناوىء حليفتها بالامس... فأمدت الثوار بالعتاد وقدمت لهم الحماية سيما في مناطق اقصى الجنوب.

وسيجد الباحث ان فرنسا تنمرت بعد ان اقرّ لها حق الانتداب.. فكان الحكم الفرنسي المباشر. ثم عهد الجنرالات.

وكان اللبنانيون على مختلف طبقاتهم وفئاتهم مواقف ازاء هذه الاحداث الاليمة المتلاحقة المتسارعة.

اتفاق فرنسا وبريطانية: اسبابه

تعود اسباب اتفاق فرنسا وبريطانية إلى عاملين اساسيين هما:

أولاً - الخطر الاميركي:

وقد نتج عنه:

أ - هبوط سعر الاسترليني بنسبة ١/٥ بالنسبة للدولار.

ب - بروز ثراء اميركة بحيث اضطرت الدولتان - الفرنسية والبريطانية - الى الاستدانة منها.

جـ - عدم اشتراك اميركة في التحالفات الاوروبية جعل العرب يطمئنون إليها لا سيما بعد إعلان مبادىء ولسون.

د - في الداخل عمل اصدقاء اميركة للدعوة إلى الانتداب الاميركي (جمعية سورية الوطنية الجديدة) وقد وضع رئيسها متري الرحباني كتاباً

بعنوان «يا اميركا خلصي الشرق الأدنى»[١].

ثانياً ـ خطر المد الوطني:

هذه الأسباب دفعت الدولتين فرنسا وبريطانية إلى عقد صلح للحرب الباردة التي كان من نتائجها ان ربطت مصير الحركة الوطنية اللبنانية بمصير الحركة الوطنية السورية طيلة الفترة اللاحقة من الانتداب إلى الإستقلال.

وهذا ساعد كثيراً على كسر الطوق الطائفي الذي فرضه الانتداب على تطور الحياة السياسية في وجه عام وبشكل خاص طيلة فترة الانتداب الأولى.

---

(١) ـ مقال ابراهيم متري الرحباني، رئيس جمعية «سوريا الوطنية الجديدة»، نشر في جريدة الحقيقة ـ عدد ١٠٤٣ ـ ٢٧ شباط ١٩١٩ أورده مسعود ضاهر. في المرجع السابق صفحة ٣٢

العامليون بين عامي ١٩٠٨ ـ ١٩٢٠

تمهيد:

لا اجدني مضطراً للبحث عن حدود جبل عامل واعتقد ان الدارس يستطيع ـ ان أحب ـ ان يجد مبتغاه عبر صفحات الكتب الكثيرة التي لاحق واضعوها تلك الحدود ووضعوا من أجل ذلك المصورات الجغرافية واذكر منها على سبيل المثال فقط:

أ ـ خطط جبل عامل للسيد محسن الأمين طبعة أولى ١٩٦١ مطبعة الانصاف ـ بيروت.

ب ـ للبحث عن تاريخنا للشيخ علي الزين طبعة أولى ١٩٧٣.. لم يشر الناشر إلى مكان وتاريخ الطباعة.

لم أتابع تفاصيل هذه الحدود، ذلك لأن احداث الموضوع الذي أنا بصدده انما دارت على اجزاء محدودة من هذا الجبل تعرف اليوم بأقضية صور وبنت جبيل والنبطية ومرجعيون.

سكان هذه المناطق ـ بوجه عام ـ بسطاء مؤمنون يكرهون الظلم والأذى واعمال العنف فهم مسالمون أوفياء لعهودهم، كرماء يحبون

الضيف هكذا كانوا يوم استقر بهم المقام في تلك الربوع ولا يزالون

«والجدير بالذكر ان هذا القطر (جبل عامل) على ضيق رقعة مساحته وقلة عدد سكانه قاوم الاتراك مقاومة عنيفة ودافع عن كيانه دفاعاً شديداً ولم يخضع للحكم التركي المباشر الا مدة يسيرة لا تزيد عن نصف قرن تمتد من ١٨٦٥ - ١٩١٨»(١)

اوضاع جبل عامل في نهاية العهد التركي:

أ - الوضع الاقتصادي:

سار الاتراك العثمانيون على سياسة الافقار فضربوا اقتصاديات البلاد ضربات أليمة وقضوا على زراعة التبغ بالحصر. وكانت هذه الزراعة تشكل المورد الوحيد لسكان جبل عامل منذ زمن بعيد اذ لم يكن لتجارة الحبوب اسواق رائجة في خارج البلاد اضف إلى ذلك ان الشعب العاملي اهمل هذه الزراعة لفداحة الضرائب التي وضعتها الدولة بعد وضع قانون المساحة والتمليك. واهم هذه الضرائب هي:

١ - ويركو: رسم مقطوع على الاراضي مطلقاً.

٢ - اعشار: رسم على نتاج الأرض والشجر يجبى بطريق الالتزام.

٣ - المسقفات: رسم على الدور والبيوت.

٤ - بدلات طرق: رسم على كل شخص ذكر تراوح عمره بين عامي ١٦ و ٦٠ سنة. وهو يقضي ان يعمل هذا المكلف مدة اربعة ايام بإصلاح الطرق التي تنشؤها الدولة. ويمكن من اراد من المكلفين ان

(١) محمد جابر آل صفا العاملي: تاريخ جبل عامل. لم يذكر الطبعة أو التاريخ دار متن اللغة: ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

يدفع البدل وكان مقداره ١٦ غ اميرياً.

٥ - ويركو شخصي: رسم وضع على التجار والباعة.

وقد سارت الدولة التركية بهذه القوانين على غير هدى وبما لا يتفق مع نصوص الانظمة والقوانين الصادرة عنها، فسادت الفوضى ووقعت البلاد في فقر مدقع وامتدت ايدي اللصوص وقطاع الطرق إلى مال الشعب البائس فاختل الامن وبارت الارض.

وقد لعب الاقطاعيون والوكلاء المحليون للسلطة العثمانية دوراً بارزاً في عمليات السلب والنهب اذ انهم كانوا يستولون على نسبة ٩٠٪ من انتاج البلاد العام في حين لم يتجاوز نسبة عددهم عن ١٪ من مجموع السكان. وكان الفلاح في ذلك الحين لا يكاد يحصل على القليل الضروري لبقائه. وكذلك كانت حال العمال وصيادي الاسماك والحرفيين انىّ تواجدوا في المدن أو في القرى.

وكان من نتيجة ذلك ان خسرت البلاد مالها ورجالها وقضت الاحداث حتى على المهن اليدوية البسيطة التي لم تعد تسمح لأصحابها بالتفكير حتى بالضروريات الحياتية اليومية.

لم يكف الشعب العاملي ما آلت إليه حاله فكأنما الجراد تآمر ايضاً عليه مع الدولة العثمانية فأتى على الأخضر واليابس على قدرتها في ذلك الحين.

ب: الوضع الإجتماعي:

الدعوة الطورانية رافقت حملات الاقطاعيين والوكلاء والموظفين الاتراك فظهرت صريحة على صفحات جريدة «طنين» التركية تقول: «لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً

كأنهم ليسوا تحت حكم الترك. فمن واجبات الباب العالي بهذه الحال ان ينسيهم لغتهم ويجبرهم على تعلّم لغة الامة التي تحكمهم. فإذا اهمل هذا الواجب كان كمن يسعى إلى حتفه بظلفه، لأن العرب لن ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فإنهم سيعملون عاجلاً على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية على انقاض دولة الترك»[1].

في هذه الدعوة الصريحة تستطيع ان تقرأ بوضوح الخطوط العريضة الواضحة للسياسة العثمانية ونكاد نرى تحركاتها وتصرفاتها مع الناس بوضوح وقد ظهرت نتائج تلك التصرفات عبر التقارير والرسائل التي صدرت عن مراسلين اجانب عاشوا تلك الاحداث وشهدوها. فكانت تقاريرهم تصور بوضوح حالة الناس الاجتماعية في ظل الحكم التركي. وعلى سبيل المثال لا الحصر اورد ما يلي «من التقرير السنوي حول تركيا لدولة بريطانيا عام ١٩٠٨.

«في الشهور السبعة الأولى لا يجد المرء سوى الشكوى من كل نوع.. الشكوى من فقدان العدالة، من الرشوة والعناد من الوالي نفسه (الذي يعتبرونه المجرم الأول) إلى ادنى موظف في الدولة ولم يكن في البلاد أمن وكان التهريب (قائماً) على قدم وساق والغريب أنه كان يجري بطريقة منظمة.»[2]

---

(١) محمد جابر آل صفا العاملي. تاريخ جبل عامل - دار متن اللغة بيروت ص ٢١٣.

(٢) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية دار النهار للنشر بيروت طبعة ثانية ص ٢٠٤.

جـ - فترة الحرب العالمية الأولى:

١ - الوضع في جبل عامل قبيل الحرب:

ازداد جبل عامل شقاء وتعاسة باختلاف زعمائه في تلك الأونة العصيبة إذ كانت الحكومة التركية تبث روح العداء بين اهله ووجهائه وزعمائه لأنها كانت قد اخذت على عاتقها وأد كل الحركات الاستقلالية وتتريك جميع الذين يلهجون بلغة عربية.

ولمثل هذا، عمل مؤتمر الاتحاديين السري عام ١٩١١ عبر القانون الذي سنه لهذه الغاية. ولكن النتائج التي اسفر عنها برنامج التتريك هذا كان حافزاً قوياً لزعماء العرب للتشدد على القومية في مطالبتهم بالاستقلال التام للبلاد العربية كلها وعاملاً قوياً على توحيد قواهم اذ كنت تسمع الناس في كل مجتمع مسيحياً أم إسلامياً يوجهون النقد اللاذع للمعاملات الرسمية الحكومية، ولكن قلّ ان تسمع نقداً بناءً (فإن الحكومة في نظر الناس قوة مستقلة لا تربطها بالمحكوم اية رابطة)[1].

فقد عمد الاتراك العثمانيون إلى الزعماء وذوي الاقطاعات من رؤساء العشائر فاقصوهم عن الحكم والسيطرة على الشعب (ومنحوا صلاحيات واسعة لوجهاء وزعماء الاسر من الدرجة الثانية وكانوا لا يردون لهؤلاء طلباً بشأن تنصيب الحكام وعزلهم واغروا كل فئة بالأخرى ليتسنى لهم حكم البلاد على هواهم وكما يبتغون)[2].

---

(١) زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية - دار النهار للنشر بيروت طبعة ثانية ص ٦٩.

(٢) محمد جابر آل صفا العاملي: تاريخ جبل عامل - دار متن اللغة بيروت لم يذكر الطبعة ص ٥٠.

لم يكتف الأتراك بذلك بل اقروا ايضاً مبدأ قتل كل حركة عنصرية باتخاذ الشدة مع غلاة الوطنيين واغتيال من يخشون جانبه. ولكن تدابيرهم هذه بقيت طيّ الخفاء لأنها بطبيعتها سلبية. وكانوا يسيرون بها على مراحل واصبحت المراسيم والقوانين التي تصدرها الدولة كلها حبراً على ورق يفسرها عمالها على هواهم لذلك انتشرت اعمال السلب والرشوة ودفع كبار الموظفين صغارهم دفعاً لايذاء الأهلين وسلبهم اموالهم واصبح الشعب في اواخر عهد عبد الحميد الثاني يئن من وقع هذه الأعمال وغدت الاستانة في عهده (الذاهب اليها مفقود والخارج منها مولود)[1].

ولم يكتف العثمانيون بهذا القدر من الظلم فكثيراً ما قرعوا ابواب المنازل في اوقات متأخرة من الليل وحملوا رجالها بحجة ان السلطان يدعوهم.. ثم يطفو هؤلاء على شواطىء البحر.. وتأتي فرقة بأمر السلطان معزية اهل الفقيد وحاملة اليهم هدايا السلطان وعزاءه معلنة اسفه على الفقيد الغالي وتعلن ان السلطات جادة في البحث عن الجاني. فهي قد القت القبض على القتيل.

وفوق هذا فقد ضرب العثمانيون اقتصاديات البلاد ضربات أليمة وقضوا على زراعة التبغ بالحصر - كما اسلفت - واهمل الشعب زراعة ارضه لفداحة الضرائب التي وضعتها الدولة عبر قانون المساحة والتمليك.

وكتب على العامليين أن يشهدوا احداث حرب طاحنة قاسية وهم

(1) سلام الراسي لئلا تضيع ج ١ - مؤسسة نوفل بيروت ص ٥٠ لم يذكر الطبعة.

على تلك الحال.. فكيف قضوا سنوات الحرب تلك...

٢ - وضع العامليين ابان الحرب:

عندما اندلعت نيران الحرب، اشتد نفور الشعب من الدولة العثمانية وتربصوا بها الغوائل. كيف لا.. وقد خسرت البلاد العاملية رجالها واموالها ولم يبق مقيماً فيها الا العاجز الضعيف او مشوه الخلق فقد أجبر الفقراء على السفر إلى بلاد اليمن بدعوى القضاء على الثورات هناك حيث لم تهدأ فيها تلك الثورات يوماً منذ احتلها الاتراك فزاد هذا الترحيل في اضعاف حالة البلاد الاقتصادية العامة.. واصيبت الزراعة والصناعة اليدوية بشلل تام فاشتد البلاء وعمت الفوضى.

في خضم هذه الأوضاع المضطربة ادرك العامليون في السياسة ان امر الدولة العثمانية سيؤول حتماً للخراب سريعاً سيما وانها دخلت غمار الحرب فاغتنم قسم من هؤلاء السياسيين هذا الشعور وأوفدوا في ١٨ تشرين الأول عام ١٩١٤ الى جبل عامل (صيدا - صور - النبطية) رسولاً عنهم هو الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل وكان يومئذ يعمل رئيس المنتدى العربي في الاستانة. وعمل هذا الشهير على تأسيس فروع للجمعية (جمعية الثورة العربية) في هذه المناطق التي زارها. وقد تم له ذلك في ٢٦ تشرين أول ١٩١٤ وتأسس اول فرع لهذه الجمعية في بلدة النبطية.

والجدير بالذكر ان هذه الرحلة حددت مصير عبد الكريم قاسم الخليل حيث جرى اعتقاله ونفذ به حكم الإعدام.

ويؤكد هذا الوضع المتدهور بشكل تصاعدي ما ذكره شهود عيان من مراسلين اجانب شهدوا تلك الاحداث بأم العين وعاشوا ايامها بل ساعاتها وكتبوا عنها.

فقد جاء في مذكرة القنصل العام الاميركي التي بعث بها إلى حكومته بتاريخ ١٥ تموز ١٩١٦ ما نصه (حال الفقراء في هذا البلد تستثير الحزن والرثاء، فالشوارع مكتظة بأطفال ونساء ساغبين. . والحكومة متبلدة الاحساس نحو آلام هؤلاء المساكين ثم هي لا تسمح للصليب الأحمر الاميركي - بمد يد العون إليهم. وكثيراً ما شاهدت اثناء تجوالي في الاصائل جثث الموتى على قوارع الطرق)[1].

وجاء في تقرير نشرته صحيفة التايمز في الثاني عشر من شهر آب ١٩١٦ بقلم مراسل محايد غادر سورية قبل هذا التاريخ بقليل ما نصه (ان حال اهالي سورية مما لا يكاد يصدق، هناك يتعرض المسلمون الناطقون بالعربية لإرهاب جديد ويقدر عدد الذين قضت عليهم المجاعة في شمالي سورية بين الستين الفاً والثمانين)[2].

وكتبت سيدة اميركية عاشت في بيروت وغادرت البلاد في صيف ١٩١٦ رسالة نشرت في جريدة التايمز يوم الخامس عشر من ايلول من نفس العام فقالت (بدأت حالات الجوع تظهر قبيل حلول الربيع اذ وجد الناس مطروحين في الشوارع وقد زايلهم الوعي وحملوا إلى

(١) جورج انطونيوس: يقظة العرب دار العلم للملايين بيروت طبعة ٣ ١٩٦٩ ترجمة الدكتورين: ناصر الدين اسد وإحسان عباس. ص ٣٠.

(٢) جورج انطونيوس: يقظة العرب دار العلم للملايين بيروت طبعة ٣ ١٩٦٩ ترجمة ناصر الدين اسد وإحسان عباس ص ٣٠.

المستشفيات. ولقد مررنا بنساء وأطفال ارتموا على جوانب الطرق وعيونهم مغمضة ووجوههم شاحبة ترهقها صفرة الموت. وكم وجدنا اناساً يفتشون في أكوام القمامة عن قشور البرتقال والطعام وغيرها من الفضلات ويأكلونها في نهم إن وجدوها وفي كل مكان كانت النساء يشاهدن وهن يبحثن عن الاعشاب الصالحة للأكل بين الحشائش النامية على مدى الطرقات)[1].

إذا كانت حالة السكان حيث تتعدد مصادر الانتاج قد تردت إلى هذا الحد. فكيف تكون حالة المواطنين في القُرى. . فقد كتب السيد محسن الامين عن تلك الحياة في عام المجاعة وابان الحرب الكونية الأولى ما يزيد هذه الصورة وضوحاً سيما وانه اختص بدراسة احوال جبل عامل. ويمكن الاطلاع على كل التفاصيل بالعودة إلى الجزء الأربعين من اعيان الشيعة - طبعة أولى - مطبعة الانصاف ١٩٦١ حيث تحدث محسن الامين تحت عنوان عام المجاعة. . عن الأعمال التي قام بها والخدمات الجلّى التي قدمها لبقايا المواطنين الذين امتنعوا على الموت.

ولو واجهنا صورة هذا الواقع المرير مع حقيقة ان بلادنا كانت تنتج في الاحوال العادية كميات وفيرة من المؤن الغذائية الاساسية تزيد كثيراً عن حاجات المواطنين الاستهلاكية لوضحت امامنا صورة الواقع الذي عاش العامليون في تلك الحقبة الزمنية، ولتبينّا فداحة الخطب الذي نزل بالمواطنين في فترة الحرب الكونية الأولى.

في زحمة هذه الأحوال لم يجد المواطن معيناً يخلصه من تلك الويلات

(١) المرجع السابق (نفسه) ص ٣٠١.

سوى ما كانت تقدمه له منظمات الاسعاف الفرنسية والبريطانية والاميركية حيث ظهرت على المسرح السياسي والاجتماعي والانساني واخذت تنافس فيما بينها تنافساً انسانياً.

وبالطبع لم تنعدم المبادرات الفردية التي بذلت لتهيئة الضروريات على نطاق واسع وتم تقديمها إلى افراد الشعب المعدمين لا سيما في المناطق المحتاجة.

الفصل الثاني

فترة الانتداب الفرنسي على لبنان

وموقف اللبنانيين

كانت سنة ١٩١٨ سنة انتصارات باهرة في منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للحلفاء انتهت بالقضاء على الأمبراطورية العثمانية.

ولكن هذه الانتصارات كانت بداية فوضى سياسية تناولت العلاقات الدبلوماسية المتداخلة بين بريطانيا وبين العرب من جهة وبين الحلفاء أنفسهم من جهة ثانية. وقد ادت هذه الفوضى إلى بعث الريبة والشك في العلاقات بين العرب والغرب مدة طويلة من الزمن.

وكانت المرحلة الأولى من الانتداب الفرنسي على لبنان في حقيقتها مرحلة ديكتاتورية عسكرية تعاقب فيها على الحكم ثلاثة من الجيش الفرنسي هم: غورو، ويغاند، وساراس. وكان كل منهم يقوم بدور المفوض السامي الذي يحكم على البلاد في ظل قانون عسكري ويعتبر هذا العهد ـ عهد الجنرالات ـ اشد واسوأ المراحل الثلاث التي عاشها الانتداب الفرنسي. فقد عرف نقصاً في باب الكياسة السياسية وقصراً في بعد النظر في الامور كما أن هؤلاء الثلاثة لم يهتموا أبداً بمصالح الشعب اللبناني وبتحقيق رغباته.

أمام هذا الواقع انقسم اللبنانيون حول الإنتداب واتخذ كل فريق له

طريقاً مغايرة لطريق الفريق الآخر. اما القول بـ (أن اللبنانيين قد رحبوا بالفرنسيين وايدوا اقامة دولة مستقلة عن سوريا وباقي اجزاء الوطن العربي وبأن اللبنانيين دعوا إلى الانتداب الفرنسي وعملوا له فقول يرفضه الواقع التاريخي وترفضه الوثائق التاريخية بالذات. فاللبنانيون الذين رحبوا بالانتداب من الفرنسيين لم يمثلوا كل اللبنانيين من جهة ولا طائفة واحدة من جهة ثانية . . . فمجلس الإدارة السابق لجبل لبنان والذي كان لا يزال يعتبر شرعياً قبل ان يكون الجنرال غورو على صلة به كان قد اجتمع في ٩ تشرين الثاني ١٩١٨ واتخذ مقرارات هامة...

وقد فوض هذا المجلس المندوبين الآتية اسماؤهم لعرضها على اصحاب الامر وهم: داود عمون اميل ادة - محمود جنبلاط - عبد الله الخوري - إبراهيم ابو خاطر، حليم حجار - تامر حمادة)(١).

وقد ترتب على هذا الانقسام ان شهدت البلاد موجة من الاغتيالات السياسية انفجرت في سورية ضد القادة الفرنسيين والزعماء المحليين المتعاطفين معهم وانتشرت عصابات الثوار في كل مكان واصيبت الحركة الوطنية بخيبة امل في ظل الادارة العسكرية المنتدبة في لبنان.

ولقد عبر عن هذا الشعور بخيبة الامل الشيخ ابراهيم المنذر بقصيدة نشرها عام ١٩٢٢ تحت عنوان استقلال يبطنه انتداب:

قد كان لي وطن أزهو به شرفاً
واحر قلبي على فَقْدُ أوطاني

(١) مسعود ضاهر: تاريخ لبنان الإجتماعي - دار الفارابي بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٢٦٢ - ٦٣.

قالوا استقل بنا لبنان قلت لهم
بالوهم ادركتم استقلال لبنان(١)

والجدير بالذكر ان هذا القطر - جبل عامل - على ضيق رقعته وقلة عدد سكانه في ذلك الحين.. فإنه عاش تلك الاحداث والانقسامات فترة من الزمن استطاعت على قصرها ان تترك في تاريخه صفحات مشرقة لا تزال آثارها بادية حتى اليوم.

توكيد الانتداب الفرنسي على لبنان

انتهى الصراع الاروبي في الشرق الاوسط بتكريس حق الانتداب الفرنسي على كل من سوريا ولبنان وتكاد تنحصر قصة الانتداب في تلك الفترة بقصة التناحر بين المصالح الفرنسية والاماني القومية العربية (واشتد تذمر العاملين من الموظفين الفرنسيين الذين كانوا يعاملون الناس بالشدة والازدراء مقربين اليهم كل من وهنت وطنيته وانحطت مبادئه على غير ما كان يؤمل منهم فخاب فيهم الرجاء وعظم اليأس وتألفت عصابات سورية في داخلية جبل عامل لمقاومة الحكومة ومنع الاهالي من دفع الضرائب فسادت الفوضى واختل الامن وتعطلت المصالح)(٢).

ولم يكن تصرف الحكومة العربية في دمشق احسن حالاً من تصرف

(١) مسعود ضاهر: تاريخ لبنان الإجتماعي - دار الفارابي بيروت طبعة أولى ١٩٧٤ ص ٢٧٢.
(٢) محمد جابر آل صفا العاملي: تاريخ جبل عامل. دار متن اللغة لم تذكر الطبعة. ص ٢٢ - ٢٣.

الحكومة الفرنسية يؤكد ذلك ما جاء في مجلة المشرق وهي تتحدث عن سقوط الحكومة الشريفية فتقول:

(ان الحكومة الشريفية منذ استولت على داخلية الشام ومدنها الزاهرة قد قلبتها رأساً على عقب. فلم يرضَ عنها النصارى والمسلمون والدروز معاً إلاّ عمالها من اجل منفعتهم الشخصية. فلا عجب ان سوء تدبيرها وتهييجها الاشقياء على النصارى وزرعها بذور الفساد في المنطقة ومطامعها الاشعبية ساءت حتى اصحابها[1].

استنتاج وتقدير:

لن يكون صعباً على الباحث ولا حتى على القارىء ان يلمح ظلال العصبية المقيتة واضحة بين الكلمات التي اوردتها جريدة الشرق، ولا بد له ان يدرك ولأول وهلة انها تعبر عن فكر متحيز لم يعرف التجرد العلمي ابداً كما أنه لم يتهيب حكم التاريخ عليه يوماً فنفث سمومه عبر كلمات اثبت التاريخ عكسها بدليل تبادل التهم علناً بين حليفي الامس: فرنسا وبريطانيا من جهة وظهور مقاومة وطنية امتدت من مناطق الجولان في اقصى الجنوب السوري حتى حلب الواقعة في أقصى الشمال وكلها كانت تطالب بدعم وتثبيت الحكومة الشريفية.. فابراهيم هنانو- واحمد مُرَيْود ورشيد علامة.. وميسلون.. كل هذه المواقف تدحض تلك المزاعم وتبددها.

وإذا اضفنا إلى ذلك كل التحفظات التي وردت في مراسلات مكماهون نيابة عن فرنسا كانت بمثابة مخدر (مورفين) يعطى للشعب

(١) مجلة المشرق مجلد ١٨ عدد ١٠ تاريخ ١٩٢٠ ص ٦٣٩.

العربي. وان اكتسبت تلك المحادثات اهمية تاريخية خاصة فقد بذلت كل الجهود لكسب السكان في تلك المناطق باسم الحسين حيناً وباسم الحرية أحياناً.

وهذا الوضع الخاص الناتج عن هذه المباحثات يشير بوضوح إلى أسباب وقوف غالبية سكان جبل عامل من الانتداب الفرنسي موقف العداء. ولعله من المستحسن ان اؤكد ان العامليين كانوا سيتخذون الموقف المعادي نفسه من اية دولة تمارس نفس الاساليب فوق ارضهم ولا فرق عندهم ان كانت تلك الدولة فرنسية او بريطانية او غير ذلك.

فالعامليون لم يعادوا فرنسا لأنها فرنسا ولكنهم عادوها لكونها دولة اجنبية ارادت فرض سيطرتها على ارضهم بالقوة.

حياة العامليين: مسيحيين وشيعة في نهاية العهد التركي:

تمهيد:

عاش سكان القرى المسيحية في جبل عامل زمناً طويلاً يرزحون اثناءه تحت ظلم الاتراك معرضين لتعديات الاشقياء واللصوص وقطاع الطرق فقد سرق بعض هؤلاء مواشيهم ونهبوا غلاتهم ولم يتورعوا عن إهانة من يلقون منهم في الطريق.

وارتضى المسيحيون هذا الواقع المرير استجابة لوصايا كهنتهم وعقلائهم ولم يحركوا ساكناً وبقيت حالهم كذلك حتى دخل الفرنسيون لبنان عام ١٩١٨ فتنفسوا الصعداء وتفاءلوا بالخير وبالخلاص من ظلم دام طويلاً.

أما سكان القرى الشيعية في عامل فلم يكونوا اوفر حظاً من السكان المسيحيين فهم بنظر الاتراك مواطنين من الدرجة الثانية ثم انهم يشكلون أقلية في خضم المجتمع السني لذلك كان يسري عليهم ما كان يسري على اخوانهم المسيحيين من ظلم وتعسف وهذا القاسم المشترك جعل ابناء الطائفتين في عامل يعيشون فيما بينهم بسلام وعلى أتم وفاق قروناً عديدة. وكانوا يتعاونون في اعمالهم اليومية ويتقاسمون المصير المشترك في ظل العهد التركي وان تميز المسيحيون عن الشيعة بما

منحتهم اياه بعض القوانين التركية المرعية الإجراء كقانون التجنيد الاجباري مثلاً. ومع ذلك فقد تماسك ابناء الطائفتين في الجنوب وادركوا ان مصيرهم مشترك وعرفوا ان عليهم ان يعملوا للخلاص معاً من قسوة هذا النظام ومن تصرفات اولئك الحكام.

ولا يزال هذا الشعور الطيب متبادلاً بين ابناء هاتين الطائفتين حتى اليوم. وكثيراً ما نشهد اذا حاولنا البحث مدى ترابط المصالح بين ابناء الشيعة والمسيحية في جميع القرى العاملية حيث تواجد مواطنون في الطائفتين في قرية واحدة. وعلى سبيل المثال لا الحصر اورد اسماء القرى التالية:

أ - قرى عاملية يسكنها مسيحيون فقط:

دردغيا - النفاخية - الطوبري - عين ابل - القليعة - دير ميماس - الكفور - الخربة (قرب مرجعيون).

ب - قرى عاملية يسكنها مسيحيون وشيعة:

صور - قانا - تبنين - برعشيت - القوزح - صفد البطيخ - يارون - مرجعيون - النبطية.. الخ...

ففي غالبية هذه القرى يدير املاك الاديرة والرهبانيات مسلمون شيعيون باشراف راعي الابرشية او من ينتدبه لذلك. اضف إلى هذا قيام شراكة عمل يومي كانت تجمع بين الكثيرين من أبناء الطائفتين حتى ولو كانت تلك الشراكة على ملكية فرس واحدة مثلاً فهي ذات دلالة واضحة على مدى التعاون الصادق والتعايش الاخوي الذي كان يسوس العلاقات اليومية بين ابناء الطائفتين.

من اجل هذا كله لم تسلم القرى الشيعية من عمليات السطو. فقد

تعرضت هذه القرى لكثير من الغزوات وان اختلفت من حيث العدد فهذا الاختلاف ناتج عن ان سكان هذه القرى سيقوا إلى الجندية بالسلاسل او هجروا قراهم هرباً من ملاحقة السلطة التركية فتعطلت فيها الحياة الاقتصادية وغمرها الفقر في حين ان سكان القرى المسيحية ظلوا يعملون في ارضهم - فقد اعفاهم قانون الجندية - فأصبحوا أكثر غنى وهذا الثراء جعل بيوتهم محط انظار الاشقياء يغيرون عليهم بين الفينة والفينة.

هذا الواقع يشير بوضوح إلى أن هذه الغارات لم تكن بدافع تعصب ديني وإنما كان يمليها ويفرضها طمع بصيد سمين وغنائم ثمينة.

وفي عام ١٩١٨ رافق دخول الفرنسيين إلى لبنان دعوة لقيام حكومة عربية في دمشق واختلفت وجهات النظر بين المواطنين حول الموضوعين:

فريق رأى في دولة فرنسا ملجأه وامانه فهلل لدخولها. وفريق آخر اعتبرها عدواً له لأنها راوغته طوال فترة الحرب وها هي تسلبه استقلاله الذي حلم به زمناً ومن اجله خاض غمار الحرب.

وهكذا انقسم السكان في جبل عامل - بعرف العامة - إلى فرنسي وعربي. الا ان ذلك التقسيم لم يكن طائفياً.

حرب الشائعات

شاعت الدسائس الا تبقي على هذا الوفاق بين العامليين على رغم تعدد طوائفهم، وعزمت على اشعال نار الحقد بين المواطنين جميعاً تحقيقاً لمآرب خاصة وطمعاً في كسب خسيس. وخرج مروّجوها كالخفافيش

تحت جنح الظلام يعملون غير مكترثين بما قد يصل إليه الوضع والآلام ستؤدي تلك الشائعات بأولئك المتزرعين في ارضهم اذا ما ألقي بهم في أتون ملتهب.

وملأت ساحات القرى واندية السمر حكايا وقصص تناقلها الناس عن جهل حيناً وعن لؤم وخبث احياناً، وقد لعبت الصحف الصادرة في ذلك الحين دوراً هاماً في إذكاء تلك النار اذ نشرت على صفحاتها وبعناوين كبيرة اخباراً لو نظر إليها القارىء بعقله لتبين كذبها ولعرف بعين البصيرة اسباب وضعها والغاية من نشرها.

وانطلت تفاصيل هذه الشائعات على عقول السذج والبسطاء من ابناء الطائفتين المسيحية والشيعية، ومن غير تروٍ فاحتكم جهال من الطرفين إلى السلاح وظهرت على مسرح عامل فرق تجوب البلاد، تقطع الطريق، تغير على القرى الآمنة تسرق وتنهب حيناً وتصيب في البلاد فساداً حيناً آخر. فتحقق بذلك حلم اصحاب الفتنة وانتصر الجهل على العقل - ولم يكن ذلك لأول مرة في تاريخ عامل - وعاشت المنطقة ذعراً وخوفاً بعد أمان دام طويلاً.

وعلى سبيل المثال لا الحصر اورد بعض ما نشر من هذه الشائعات دون تعليق مفسحاً في المجال امام القارىء ليكوّن صورة واضحة عن الاثر الذي يمكن ان تتركه مثل هذه الشائعات في نفوس الأهلين.

١ - (أظهر لنا كامل بك (يعني كامل بك الأسعد الأول) حذره وخوفه من تفاقم الاشاعات وفلتان اللسان في هذا الجو الموبوء الممتلىء بالاشاعات التي يعمل لها مريدو الفتنة. . واغراق الامة بها ليتسنى لهم ارسال القوة وانزال الضربة القاضية.

فقد قتل رجلي مسلم في وادي الدب قرب قرية ياطر في شعب بلاد بشارة ثم اشيع عن هتك امرأة مسلمة من قرية حانين بائعة لبن، اذ تصدى لها في قرية عين ابل بعض اوباش القرية المغرورين بالفرنسيين فجردوها من اثوابها بالقوة وامروها ان تمشي امامهم هكذا ذاهبة جائية ثم تداولوها بالفاحشة علناً)(١).

٢ - (بلغنا ان العصابات رجعت إلى عملها في منطقة صور ومرجعيون، وقيل انهم طوقوا قرية الطيري فقتلوا من اهلها بعض الرجال وكلهم مسلمون شيعيون بحجة انهم لم يثوروا معهم)(٢).

٣ - (عندما ظهرت اساليب الضغط والاكراه قابلها تصاعد في هجمات الثوار على الفرنسيين والقرى المسيحية المؤيدة لهم فهوجمت جديدة مرجعيون ودير ميماس والخربة والقليعة)(٣).

٤ - (نضم صوتنا الضعيف إلى زفرات البائسين وانين الجرحى بل إلى صوت دماء اخوتنا النصارى القتلى في جهات مرجعيون وعكار ونواحي صور وبلاد بشارة.

وكنا نظن بدخول فرنسا هذه البلاد ستتمتع بالأمان الوافي والسلام التام فإلى من يلتجىء المسيحي اللهيف إلا على محاميته الطبيعية وأمه الثانية فرنسا المحبوبة)(٤).

٥ - (دخل قرية بلاط ثمانون جندياً عربياً بقيادة عارف بن الحسن

---

(١) مذكرات أحمد رضا: العرفان مجلد ٣٣ ج ٣ ص ٩٩٢.
(٢) المرجع نفسه: م ٣٤ ج ٣ ص ٣٥٣.
(٣) مذكرات أحمد رضا: العرفان م ٣٣ ج ٣ ص ٨٥٦.
(٤) مجلة المشرق: م ١٨ عدد ١٠ عام ١٩٤٠ ص ٤٧٧.

فذهب منهم اربعون (ليهدموه، ولما بلغوا الجسر كمن منهم ثلاثة وتقدم العشرة الباقون لخيمة الخفراء المضروبة على الجسر مما يلي الغرب، فأخذ احدهم الخفير الواقف على باب الخيمة وكمهَ ودخل اثنان إلى الخيمة وفيها اربعة قاعدون وخمسة نائمين فخرج القاعدون واعتركوا مع بقية العشرة وتقدم الداخلان فذبحا النائمين. واحس بالعراك العسكر المرابط قبالة الجسر في محلة الشونة فألقى النار على الخيمة.

وبعد حادثة الجسر ارسل الفرنسيون قوة احاطت ببلدة بلاط فلم يعثروا على أحد سوى رجلين اخذهما البرد فجلسا يستدفئان فأخذوهما وكان أحدهما جركسي والآخر عربي من شمالي سورية)[1].

بعد هذا كله شهدت البلاد اعمال فوضى وأُغرقت في مجرى من الدماء صورها الشيخ أحمد رضا في مذكراته حيث يقول (اعمال الفوضى ضاربة أطنابها فيه (والكلام عن جبل عامل) رجال الحكومة يسلبون وينهبون باسم جمع الغرامة من الشيعة، عصابات من الثائرين تنهب المسيحيين وعصابات مسيحية بتحريض رجال الامن ومعاضدة القومندان شاربتيه تنهب المسلمين الشيعيين. وكلتا الطائفتين الآمنتين المطمئنتين نهب مقسم غير آمنين على انفسهم ولا على أموالهم والعساكر الفرنسية تجوس خلال الديار. الطرق مقطوعة والفساد عام ومهاجرو مرجعيون من الجديدة وما حولها من القرى المسيحية ملأوا النبطية وصيدا مذعورين ومهاجرو جبل عامل في قرى فلسطين مشتتون مذعورون).

وليس من باب الصدف ان تقوم هذه الحملة الصحفية المسعورة وان

(1) مذكرات أحمد رضا: العرفان م ٣٣ ج ٣ ص ٢٥٦.

يبدو هذا النشاط في اعداد هذه الكتابات وتلفيق اخبارها بل يمكن ارجاع ذلك كله إلى تباين في مصالح كل من فرنسا - بريطانيا ثم المواطنون العرب.

المصالح الذاتية في تصور كل من: فرنسا - بريطانيا - العرب

لذلك كله ارى انه لا بد من القاء نظرة على ما يمثل مصالح كل دولة على حِدَة:

١ - اولاً: المصالح الفرنسية والشعور الفرنسي:

كانت فرنسا تشدد على تطبيق الاتفاقات المعقودة بينها وبين بريطانيا وخاصة اتفاقية سايكس - بيكو لعام ١٩١٦. وقد لاحظت بعد ان وضعت الحرب اوزارها تباطؤ بريطانيا في سحب جيوشها وافساحها في المجال امام الجيوش الفرنسية لتحل محلها. ثم رأت ايضاً ان بريطانيا كانت تسهل عمل الفرق المسلحة العربية التي تواجدت في ذلك الحين وعملت ضد المصالح الفرنسية وذلك عن طريق تسهيل وصول الاسلحة والذخائر والمدربين اليها عبر اراضي فلسطين حيث كانت تسيطر ومن ثم انها كانت تسهل لهذه الفرق بعد انجاز مهامها عمليات الفرار من وجه القوات الفرنسية المطاردة وتوفر لها كل عون مادي او معنوي.

وهذا يؤكده استمرار عمل تلك الفرق داخل ارض الحولة زمناً طويلاً. ولا يعقل ان تلك الفرق كانت تستطيع ان تفعل ذلك بدون

مساعدة البريطانيين،

وكانت فرنسا تخشى ان تعدّل اتفاقيات ما قبل الحرب فتحرم من كل الحصص المتفق عليها ولذا فهي تلح وتستعجل صدور قرار عصبة الامم ليكرس انتدابها. ولذا فهي في سبيل ذلك ساعدت من ناحيتها على انتشار الفوضى والرعب في البلاد وزرعت بذور الفتنة بين ابناء الطوائف لتظهر لدول العالم ان الشعب في المنطقة العربية لا يعرف النظام. وقد عمت الفوضى روح طائفية روعت الآمنين وادت إلى سفك دماء الابرياء ولذلك فهي تطالب باقرار حق انتدابها على تلك المنطقة بغية تعليم المواطنين معنى الانضباط والقانون.

٢ - ثانياً: المصالح البريطانية والشعور البريطاني

يبدو ان بريطانيا ارادت بعد الحرب توسيع رقعة حصتها على حساب حصة فرنسا. يحدوها ذلك طمع وجشع اذ تمثل ذلك في قولها الصريح لفرنسا: «اطلقي يدي في الموصل فأطلق يدك في سورية»[١].

أما في منطقة جبل عامل حيث كانت الحدود موزعة بين سورية وفلسطين (الحولة) فقد شاءت بريطانيا ان تقتطع لها جزءاً من اراضي عامل تضمه إلى فلسطين - منطقة نفوذها - وذلك قبل ان يصدر قرار الانتداب. ومن اجل هذا عملت بريطانيا على تنشيط الحركات العربية المعادية لفرنسا في هذه المنطقة وسهلت أمامهم طرق الفرار كلما لاحقتهم الحركات العربية المُفَرْنَسَة مؤمنة لهم الحماية والدعم فغدوا

(١) مذكرات أحمد رضا: العرفان م/ ٣٣ ج/ ٣ ص ٢٥٦.

يغيرون على القرى العاملية بسهولة ويعودون إلى الحولة بحرية واطمئنان.

٣ - ثالثاً: المصالح العربية والشعور العربي

أما العرب فقد كانوا طلاب استقلال وحسب. فيوم اشتركوا في الحرب ضد تركيا كانوا يؤمنون انهم لا يريدون استبدال مستعمر ضعيف بمستعمر آخر قوي.

ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس كانت مراسلات الحسين - مكماهون. وقد وضح من بين سطور تلك المراسلات وايضاحاتها أن بريطانيا تعلن خلاف ما تضمر وتخفي غير ما تبدي.. ومن أجل ذلك داخل نفوس العرب عامة شك في صدق المحاورين الاجانب وشك في الوفاء بالوعود الشفوية التي ترددها السنتهم...

ولذلك عقد العرب العزم على العمل للخلاص من الحليفين: فرنسا وبريطانيا معاً وبدأوا يعدون انفسهم وشعوبهم لحرب منتظرة وان كانت غير متكافئة. ومن اجل ذلك تكونت الفرق المسلحة في انحاء البلاد وشهدت عامل على اتساعها وعلى مدى ستة عشر عاماً حركات ثورية عملت في سبيل تحقيق الاستقلال التام.

وقد استطاع هذا الشعور ان ينتصر في آخر الأمر وإن دفع الشعب العربي - وفي كل الاقطار ثمنه دماً قانياً.

محاولات الاصلاح

نتيجة هذا الوضع المتردي انفجرت في سورية موجة اغتيالات

سياسية ضد القادة والزعماء المحليين المتعاطفين مع الفرنسيين فقتل رئيس الوزارة السورية صديق الفرنسيين علاء الدين الدروبي في درعا عام ١٩٢١ م واغتيل وزير داخلية لبنان الكبير اسعد بك في دمشق في ١٢ نيسان من العام نفسه وجرت محاولة اغتيال المفوض السامي الفرنسي الجنرال غورو في القنيطرة.

وعلى اثر هذه الاحداث الدموية تألف وفد من اعيان الشيعة ضم كلاً من الشيخ أحمد رضا والحاج اسماعيل الخليل والسيد عبد الحسين محمود الأمين وسعوا مجتمعين فقابلوا بعض الزعماء المسيحيين واجتمعوا بالسادة: بطرس كرم، رشيد بك نخلة، اسبر بك شقير، داود بك مخول ، نسيب بك صبرا، ورئيس تحرير جريدة لسان الحال طانيوس عبده. واطلعوهم على حالة البلاد العامة عن كثب وشرحوا لهم ان ابناء الطائفتين الشيعية والمسيحية لا عداء بينهم وكان شاهدهم على ذلك حسن معاملة اهل النبطية لمهاجري مرجعيون وما لاقوه من حفاوة وتكريم لدى اخوانهم الشيعة.

ثم كان تصريح البطريرك الحويّك الذي نشرته جريدة لسان الحال: (انا ناطق بلسان اللبنانيين على بكرة أبيهم اقول: ان اللبنانيين لأشد تشبثاً اليوم بالاستقلال منهم في أي وقت مضى)[1].

على رغم كل الجهود التي بذلها اعيان البلاد من الفريقين ورغم البيانات المشتركة التي اصدروها ـ مقيمين ومغتربين ـ والمساعي الخيرة التى بذلوها فقد انتصرت حرب الاشاعات وانطلت الدسائس التي لم

تكن تبغي الإبقاء على هذا الوفاق على اعين الكثيرين فألقت هذه الحرب بكل الآمنين من الفريقين في أتون نار طعاماً لثورة وتحقيقاً لأمنية ووسيلة لرسوخ قدم الاجانب بحجة حماية المسيحيين حيناً والاقليات احياناً.

وهكذا كان ديدنهم في كل بلد يريدون سلبه حريته فاستعماره.

وليس غريباً ان تنمو تلك الاشاعات وتنتشر بسرعة في وقت خيم فيه الجهل ما دمنا نحن اليوم. وقد أصبحنا بلد الاشعاع والنور، وفي نهاية القرن العشرين عُرْضةً لمئات الاشاعات المغرضة فنصدقها ونعمل بها لأنها احكمت تأليفاً واتقنت اخراجاً فأخذ بها الكثيرون.

الفصل الثالث

بواعث العصابات المسلحة:

(١) الشعور العام بعد وضع قانون الجندية:

نعمت القرى المسيحية في ظل قانون الجندية بزحمة سكان ورتابة عمل ذلك لأن شبابها لم يساقوا إلى الحرب قسراً فقد شملهم الإعفاء واستمروا في اعمالهم يحيون الأرض ويمارسون صناعاتهم اليدوية. وإن كان قسم منهم قد هاجر إلى الأميركتين فقد أصبح هؤلاء المهاجرون يشكلون مورداً اقتصادياً جديداً يغذي اقرباءهم ويدعم اقتصاديات قراهم فنعم هؤلاء بوضع اقتصادي متميز في حين ان القرى الشيعية المجاورة لتلك اصبحت خالية من كل القادرين على العمل. فقد سيق بنوها إلى الحرب فغدت الأرض بوراً وتعطلت فيها كل الأعمال اليدوية فتوقف بذلك دخل المواطن اليومي وانتصب الجوع آفة تنخر العظام وتهد الأجسام ولم يعد المواطن العاملي التابع في بلده يقوى على رد الاشاعات والاقاويل الكاذبة التي روّجها المغرضون في سبيل ايقاد الفتن واستطاعت هذه الاشاعات ان تنفذ إلى ضعاف العقول فتحرك فيها وقعاً مثيراً ومؤثراً ولم يستطع العقلاء من الفريقين ايقاف هذا المدّ التخريبي أو القضاء عليه. فكانت حوادث دامية ألقت بأولئك

الأمين في اتون من نار وادكت نار التعصب وبدأ الإعتداء على ابناء السبيل والفقراء من ابناء الطائفتين، وكان لأصحاب الرأي ولرجال السياسة في ذلك الوقت نصيب وافر بإذكاء الخلاف فشهدت الذي عم المنطقة كلها.

وقد تركت تلك الأحداث العاملية آثاراً ما تزال ماثلة في الأذهان حتى اليوم فبعد أن مسخت وحوّلت إلى مجرد أحداث طائفية ذميمة اصبح ذكرها بالنسبة للعامة من المسيحيين الجنوبيين يعني تذكرهم لتعصب الشيعة الطائفي، أما الشيعة فباتوا يرون فيها نقطة سوداء لطخت تاريخهم وباتوا يخجلون حتى من ذكرها... - مع العلم انها كانت فردية إذا اشتركت فيها مجموعة بقيادة محمود بزي لأسباب واضحة معروفة - (ردا على دعوة صادق حمزة لحضور مؤتمر الحجير ممثلاً للجناح العسكري).

٢ - اثر التجنيد الإجباري:

وضعت الحكومة التركية قانون التجنيد الاجباري واسمته القرعة المحمدية وفرضته على ابناء الطوائف الاسلامية فقط وأعفت منه ابناء الطوائف غير المسلمة. الا انها رضيت ان يدفع ابناء الطوائف الإسلامية الواردة اسماؤهم في لوائح المطلوبين بدلاً نقدياً اسمته العسكرية وكانت تتقاضاه منهم دون ان تضبطه قاعدة جباية أو أصول تراعى.

حدد هذا القانون مدة التجنيد بعشرين سنة موزعة على مراحل ثلاث:

١ - الأولى: مدتها ست سنوات وتسمى عسكرية احتياط.
٢ - الثانية: مدتها ثماني سنوات وتسمى رديف.
٣ - الثالثة: مدتها ست سنوات وتسمى مستحفظ.

ولكن الدولة العثمانية قلما كانت تتقيد بهذا القانون خاصة من حيث عدد السنين ولم تكتف بذلك بل انها وضعت قانوناً جديداً يقر مبدأ دفع البدل النقدي من كل فرد لا يرغب ان ينتظم في السلك العسكري فجعلت قيمة هذا البدل لأول مرة مئة ليرة ذهبية ثم ثمانين وثم خمسين وهذا المبلغ يدفع بدل سنوات العسكرية الست فحسب. كما انها وضعت بدلاً فيما بعد عن الرديف والمستحفظ.

ولم يمض وقت طويل على وضع هذا القانون حتى عمدت الدولة إلى استبداله بقانون آخر جعلت فيه المدة العسكرية على اربع مراحل بدلاً من ثلاث:

١ - الخدمة الفعلية: مدتها ثلاث سنوات تبتدىء في ايام السلم عند بلوغ المكلف الواحدة والعشرين.

٢ - الخدمة الاحتياطية: مدتها ست سنوات يدعى المكلف خلالها إلى الخدمة العسكرية عند الحاجة.

٣ - الرديف: مدتها عشر سنوات. لا يدعى المكلف إليها إلا عند الحاجة القصوى وبعد دعوة الاحتياطي.

٤ - المستحفظ: مدتها خمس سنوات لا يدعى رجالها الا ابان الحرب وعند الضرورة القصوى وكان هؤلاء يستخدمون عادة في (الخدمات البسيطة وذلك بالنسبة لكبر سنهم).

ج ـ شروط الاعفاء من الجندية:

يعفى من الطلب إلى الجندية من شملته احدى الصفات التالية:

١ ـ ان يدفع البدل النقدي المطلوب. وقد كان هذا امراً تعجيزياً بالنسبة لوضع السكان المادي.

٢ ـ ان يكون المطلوب معيلاً. اي ان يكون وحيد ابويه مسؤولاً عن اعالتهما حيث يجب ان يكونا بحالة العجز التام.

٣ ـ ان يكون المطلوب ابناً لأحد المتنفذين وكان ذلك يجري بناء على امر خطيّ يصدره السلطان. وكان هذا الأمر لا يتم إلا بصعوبة واثر وساطات وشفاعات.

٤ ـ ان يكون المطلوب من طلبة العلوم الدينية. وكانت الدولة تحشر هؤلاء كل فترة في مراكز الفرق العسكرية للفحص والامتحان. ولذلك كثر الطلبة المزيفون واهملوا الدروس والتدريس واصبح معظم المندمجين في هذا السلك لا غرض له الا التخلص من الخدمة العسكرية الشاقة(١).

ظهور حركات الفرار وانشاء فرق مسلحة

قانون التجنيد الاجباري هذا وشروط الاعفاء منه دفعا بالكثيرين من الشباب العاملي إلى الجنوح إلى الفرار من وجه العدالة فشهدت البلاد العاملية حالات تمزّق واعتداء على الممتلكات وتشليح عدد كثير في المنعطفات وفي مسالك الاودية وكثر قطاع الطرق في ذلك الحين

(١) عن محمد جابر آل صفا العاملي: تاريخ جبل عامل ـ دار متن اللغة بيروت الصفحات: ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٢٥٥ بتصرف.

وانزرع الخوف في نفوس المواطنين وكانت الدولة العثمانية (الرجل المريض في ذلك الوقت) قد اصبحت في أواخر ايامها فقد غدت عاجزة عن ملاحقة هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق. كما ان الناس العزل البسطاء المسالمون بطبعهم لم تكن لديهم الجرأة الكافية ليقفوا في وجه هذا التيار من اللصوصية والسرقة والنهب والسلب لذا نراهم قد وقفوا حيال هذا الأمر مستسلمين عاجزين مكتوفي الايدي مرغمين على قبول هذا الواقع والسكوت عنه باعتباره اهون الشرين.

فالبلاد يحكمها ظَلَمَة جهلة وتسودها شريعة الغاب، حتى الجنود الاتراك وموظفوهم لم يكونوا احسن حالاً في ذلك الوقت من اللصوص وقطاع الطرق لأنهم كانوا يغتصبون المواسم باسم الدولة جهاراً يحميهم القانون وتتحرك الدولة فوراً لتقتص من المعترضين او المتذمرين الذين اصبحوا متمردين بنظر رجالها ذلك لأنهم تجرأوا مرة فسألوا همساً وبذلة عن سبب فداحة حجم المطلوب او تشكوا مرة لأنهم لم يستطيعوا دفع الرسوم المترتبة عليهم.

ونتيجة هذا الوضع ظهرت في كثير من القرى والنواحي العاملية فرق مسلحة عملت على حماية سكان قراهم من شر اللصوص وقطاع الطرق ودافعت عن أمن المواطنين ضد غارات رجال الاتراك الذين كانوا يصمون آذانهم عن سماع اية شكوى.

وكان يدفع رجال تلك الفرق في ذلك السبيل عشقهم للحرية وحبهم للحياة الحرة الكريمة وعدم اقرارهم بهذا الواقع المهين.

أهم الفرق المسلحة ومركز عمل كل منها

وعلى سبيل المثال لا الحصر اراني مضطراً لذكر اسماء بعض هذه الفرق وتعداد بعض اعمالها وتحديد اماكن تواجد كل منها. عليّ بذلك استطيع ان اجعل الصورة في ذهن القارىء اكثر وضوحاً.

أولاً: فرقة الشيخ علي الحجار في بلدة المطلّة[1]

في مطلع القرن العشرين ظهرت في بلدة المطلة حركة عصيان مسلح اخذت على نفسها محاربة الدولة العثمانية وحماية القرية من اعتداءات الفرار واستطاعت ان تلحق بالعثمانيين خسائر فادحة.

وكان يترأس هذه الفرقة شيخ البلدة المدعو علي الحجار. وقد استمرت هذه الفرقة تمارس اعمالها فترة طويلة من الزمن حتى اضطرت الدولة العثمانية في نهاية الامر ان تعفو عن رئيسها بعد وساطة بذلها نسيب بك جنبلاط.

ويبدو ان الدولة العثمانية ـ بعد صدور ذلك العفو ـ ظلت تضمر للشيخ علي السوء وبقيت تفكر بالخلاص منه فعمدت إلى الحيلة وطلبت من قائمقام مرجعيون ـ التركي ـ رفعت بك بابان ان يستدعيه لامر ما.

وفي طريق عودته ضاع الشيخ.. وعادت فرنسا إلى المطلة من جديد. وعثر على جثة الشيخ في اليوم التالي مقتولاً قرب نبع الحمام في

(١) المطلة بلدة كانت لبنانية وهي من قرى عامل تطل على سهل مرجعيون الحيام. وهي الآن أقرب قرية فلسطينية من الحدود اللبنانية اشتراها روتشيلد اليهودي من مالكها جبور بن رزق الله من صيدا ملحق رقم ـ ٦ ـ.

سهل مرجعيون[1].

٢ ـ ثانياً: فرقة ابراهيم فرنسيس ـ (القليعة)

في سنة ١٩٢٠ بالتحديد وفي اليوم العاشر من شهر حزيران من تلك السنة اجتاحت لبنان الجنوبي موجة اضطرابات واعتداءات دفعت بشباب كل قرية إلى توحيد صفوفهم وانشاء فرق مسلحة تعمل على رد كل اعتداء قد تتعرض له بلداتهم.

وازاء هذا الواقع تألفت في بلدة القليعة القريبة من مرجعيون فرقة بقيادة ابراهيم فرنسيس وعرفت باسمه. وفي العاشر من شهر حزيران ١٩٢٠ هاجمت فرق تتألف من: عرب الفضل في الجولان، عرب الغوارنة في الحولة، اهالي العرقوب، واهالي بعض قرى الجنوب، هذه القرى مجتمعة هاجمت بلدة مرجعيون حيث كانت مقراً للحامية الفرنسية فنهبوا البيوت واحرقوها، وفي طريق العودة حاول المهاجمون ان يجتاحوا بلدة القليعة فهب شبابها للدفاع عنها ببسالة واستطاعوا ان يردوا المهاجمين على اعقابهم.

وقد عرف اهالي القليعة بتعشقهم للبطولة وانهم اتخذوا من «الخضر» عليه السلام شفيعاً لهم.

وينسب الاستاذ سليم الراسي هذه الرواية إلى صديقة الشيخ سعيد فرنسيس الذي اطلعه على مخطوطة أرّخ بها تلك الأحداث وقد جاء فيها:

(١) عن سلام الراسي: المؤلفات الكاملة. مؤسسة نوفل بيروت طبعة ثانية ١٩٧٧ ص ١٦٠.

(ان الجنرال غورو القومسيار العالي للجمهورية الفرنسية في سورية وكيليكا والقائد العام لجيش الشرق يبلّغ تهانيه لأبطال القليعة على ما ابدوه من شجاعة وبسالة في موقعتي ١٣ مارس و ١٥ حزيران ١٩٢٠ م فإن جموع المتاولة قد تكبدت على ابواب القليعة خسائر دامية ونوائب فادحة بفضل الشجاعة التي اظهرها ابطال القليعة وزعيمهم ابراهيم فرنسيس)[1].

بالإضافة إلى ذلك فقد شهدت قرى عامل ظهور العديد من هذه الفرق وكان الواقع الاساسي لظهورها اعتداءات رجال الفرار المتكررة على السكان الآمنين وترويعهم وسلبهم ارزاقهم وما ملكت ايمانهم أضف إلى ذلك ضخامة المبالغ التي كان «الفرار» يفرضونها على سكان القرى باسم غرامات.

كل هذا كان حافزاً قوياً دفع شباب بعض القرى ـ الذين ابوا ان يستسلموا للهوان والذل ـ ان يتنادوا لانشاء فرق مسلحة تصد المعتدين وتحمي ارواح الأبرياء واملاكهم.

وان كنت قد اكتفيت بذكر اثنتين من هذه الفرق فحسبي انها كانت كلها ذات اهداف متشابهة واعمال متقاربة. ولم اجد انه من الضروري تعداد اسمائها كلها لأنها ليس هي مبتغاي من هذا البحث.

---

(1) سلام الراسي: المؤلفات الكاملة مؤسسة نوفل بيروت طبعة ٢ ١٩٧٧ ص ١٦٠

كيف كان يعيش الفرار وكيف كانوا يحصلون على أسلحة.

لم يجرؤ رجال الفرار على دخول القرى خشية الوشاية بهم لذلك اتخذوا لهم من المغاور والكهوف ملاجىء يأوون إليها في النهار ويخرجون منها اذا ادلهم الظلام. وكانوا لا يدخلون القرى الآهلة إلا لماماً. فقد اتسمت اعمالهم بالسلب والنهب والإعتداء على قوافل التجار و(المكاربة) ليستطيعوا بواسطة ما تحصل عليه ايديهم تأمين بدلات الضرائب التي تفرضها الدولة او الاقطاعيون على ذويهم مقابل السكوت عنهم وعدم مطاردتهم او الوشاية بهم.

اما اسلحتهم فكانوا يحصلون عليها من اعتداءاتهم المتكررة على جنود الدولة الفارين وهم في طريق هروبهم وقد انهكهم الجوع والمرض واعوزتهم الحاجة إلى بيع سلاحهم للتخلص منه وكثيراً ما احتمى بعض هؤلاء الجنود عند اولئك الفارين وقد آنسوا منهم القوة فانضموا إليهم وشكلوا عصابة تعيث في البلاد فساداً بعد ان كانوا حماة امن ومبعث استقرار.

هكذا تكونت الفرق المسلحة في جبل عامل باديء ذي بدء، وقد اتسم هذا العمل بطابع مختلف ولكن غلب عليه عمل العصابات المسلحة بعد دخول القوات التركية إلى سورية ولبنان وفلسطين. حيث غدت غالبية أفراد تلك الفرق من الذين فروا من الجيش التركي خلال الحرب الكونية الأولى. وكان غالبية أولئك الفارين من سكان جبل عامل وقد أصبحت عودتهم إلى قراهم شبه مستحيلة بسبب ملاحقة الجيش التركي اذ كان القتل رمياً بالرصاص هو العقاب الوحيد لأمثالهم

من تخلف عن اللحاق بالجيش او فرّ من جبهات القتال. ولهذا لجأ هؤلاء إلى المغاور والكهوف ولم يعودوا إلى قراهم الا سراً. ومن اجل الابقاء على حياتهم سرقوا ونهبوا لتأمين قوتهم اليومي وقوت عيالهم او كان عليهم ان يدفعوا مبالغ كبيرة لرجال الاقطاع مقابل السكوت عنهم وبدل حماية ذويهم الذين ظلوا قابعين في بيوتهم مستسلمين لكل ظروفهم الحياتية الصعبة.

تجمع الفرار في فرق مسلحة جديدة والصور الصحفية اليومية لكل منها

واقع البلاد في تلك الفترة والظروف الامنيةوالاوضاع الدولية السياسية كلها مجتمعة كانت عاملاً جوهرياً واساسياً لظهور فرق مسلحة عاثت في البلاد فساداً وروعت الامنين الوادعين المنزرعين في بيوتهم واكواخهم. والتهمت الاخضر واليابس ولم تتورع عن فعل ما لا يجوز في سبيل ارضاء الاطماع والشهوات الشخصية.

وادعت كل فرقة لنفسها هدفاً وزعمت انها انما وجدت من اجل حماية المواطنين والدفاع عن مصالحهم وانها تعمل في سبيل تحقيق غاية سياسية سامية.

وحيال هذا الواقع انبرت الصحف على اختلاف ميولها وتعاطفها تتصدى لهذا العصابات فتنشر ما يحلو لها من أخبار تجسمها حيناً وتلفقها اخرى. وقد تدعي في حين آخر انها احرزت قصب السبق اذ حققت ما لم تحققه غيرها من الصحف وهو خبر تدعيه.. او تزعم انها تلقت من مراسلها في الناحية الفلانية كل تفاصيل الحادث الذي انشأه خيال

الكاتب واخرجه.. وتبنته الصحيفة فخصصت له صفحتها الأولى. فأدى هذا الكذب الذي كان يدعوه اصحابه سبقاً صحفياً إلى اشاعة الفزع والرعب واثارة الضغائن وزرع الاحقاد في نفوس ابناء الوطن الواحد في المنطقة الواحدة. في حين ان صحفاً اخرى كانت ترى من واجبها ان تدعو المواطنين إلى المحبة والإلفة والتآخي.

ولكي استطيع ان اعطي صورة عما نشر على صفحات بعض الصحف لا بد لي من العودة إليها اقلب صفحاتها.. انقل ما كتبته او نشرته حرفياً فأكون بذلك قد وضعت القارىء أمام شريط من الصور يساعده على وضوح الرؤيا.

أ - الصورة الأولى:

(تفاقم شر العصابات في هذه الأيام فبدل عصابة واحدة كانت تعيث في البلاد فساداً بزعامة المدعو صلدق، أضحينا... اليوم تحت حكم عصابات: فواحدة تحت امرة صلدق المذكور وثانية تحت زعامة ابو زلكي وثالثة تحت رئاسة محمود احمد بزي (من بنت جبيل) ورابعة برئاسة محمود الفاعور من القنيطرة.. وخامسة بزعامة شبلي من طيرزبنا. وكل من تسول له نفسه الاستغناء العاجل القريب..)[1].

(١) جريدة البشير ٣ نيسان ص ٣.
أ - صلدق أي صادق حمزة الفاعور.
ب - أبو زلكي.. وبعد التدقيق عرفت أنه هندي البالي جاء مع الحملة التركية.. وبعد أن وصل إلى الجنوب اعتنق الإسلام.. والتحق بالفرق المسلحة.. فكان من اتباع صادق حمزة وأدهم خنجر بعد أن اجتمعا.. وعرفت أنه تزوج من بلدة حولا قضاء مرجعيون ورزق صبياً شاهدته بنفسي وتحدثت إليه يدعى موسى فهو=

ثانياً: الصورة الثانية:

(أما في جنوبي عامل فسيطر الثوار سيطرة تامة، ولم يعد للسلطة اذن اثر، حتى ان ماموري المالية والدرك لا يقدرون على التجول فيها وهي اشبه بحالة العصيان التام)[1].

ثالثاً: الصورة الثالثة:

(دخل بين عصابات الثوار جماعة خرجت عن الجادة ودخلت الفوضى واصبحت تلتهم الأخضر واليابس ولا تتورع عن فعل ما لا يجوز في سبيل الاطماع الشخصية واخشى ان يؤدي ذلك إلى خراب

= أبو زكي وليس أوزلكي. وهذا الشاب يعمل اليوم في تركيب الأدوات الصحية.

ج - محمود أحمد بزي: كان صاحب فرقة مسلحة في بنت جبيل عمل في البدء بالتعاون مع صادق وتحول بعد مؤتمر الحجير إلى فرقة لا تتعاون مع صادق. حتى وأن صادق لم يكن راضياً عنها. لأنها قامت بالهجوم على بلدة عين ابل في حين أن صادق كان يعارض ذلك كان موقف محمود بزي هذا لأن رجال الدين ورجال السياسة اعتبروا صادق حمزة يمثل الجناح العسكري في الإجتماع. فدعوه إلى مؤتمر الحجير لتدارس أمور البلاد الأمنية والسياسية وكانت هذه الدعوة باعثة لمحاولة انفصال قام بها محمود أحمد بزي ومن أجل توكيد هذا الإنفصال جمع اتباعه في بلدة كونين. وهاجم بهم قرية عين ابل.

د - شلي من طيرزبنا: إنه جندي تابع لفرقة صادق ولم يكن قائد فرقة أبداً وقد قتل في بلدة جويا بعد أن اطلق الناس على قبة نبي في البلدة ولكن الرصاصة لتشتعل فدخل شلي بيتاً واتكأ على بارودته. فاشتعلت وقتل.

(١) مذكرات أحمد رضا العرفان ٣٣٢. ج ٨. ص ٨٥٦.

البلاد وخيبة الأمال)[1].

رابعاً: الصورة الرابعة:

(وقد ترأس هذه الفرق عدد من الزعماء. وفي كل قرية ترأسها اكثرهم شجاعة واقداماً لكن اشهر هذه الفرق كانت فرقة صادق حمزة وهو من قرية دبعال قرب جويا وضمت فرقته بضعة عشر رجلاً مسلحين بالبنادق والمسدسات والقنابل اليدوية... عين ابل (بلاد بشارة) لمراسلنا الخاص. ٣ كانون أول ١٩١٩)[2].

خامساً: الصورة الخامسة:

(أصبح الامن مفقوداً في نواحينا. فإن رجلاً اسمه صادق من دبعال ألف عصابة من الاشقياء عددها نحو عشرين تطوف القرى للسلب والنهب وقد عمل هؤلاء بشكل خاص في قضاء صور.)[3].

حقيقة هذه الفرق وأهمها:

بات امر وجود هذه الفرق المسّلحة قائماً بالفعل. ولقد اصبحت حكاياها تدور على كل شفة ولسان واصبح امر التعرف عليها ضرورياً عبر ما نشرته الكتب والمذكرات والصحف في ذلك الحين.

---

(١) مذكرات أحمد رضا العرفان م ٣٣ ج ٨ ص ٨٥٧.
(٢) جريدة الشير عدد ١٨ تشرين أول ١٩١٩ ص ٤.
(٣) جريدة الشير. من مراسلها الخاص في عين ابل. عدد ١٨ تاريخ ٣ كانون أول ١٩١٩ ص ٣.

وبعد جولة طويلة قمت بها قصد البحث والتقصي اورد على سبيل المثال لا الحصر ما عثرت عليه من اسماء هذه الفرق مكتفياً بالإشارة فقط إلى ذكر اسماء قادتها والتعريف بأماكن تواجد كل منها دون ملاحقة اخبارها لأنها ليست من صميم البحث الذي أنا بصدده. ولكني ارجو ان يساعد عملي هذا من شاء من الباحثين على تكوين فكرة عن وضع البلاد الأمني في مطلع العشرينات من هذا القرن.

وأثناء بحثي هذا وتحت عنوان ظهور الفرق المسلحة وردت الأسماء التالية: فرقة صادق حمزة - فرقة ابو زلكي - فرقة محمود احمد بزي - فرقة رشيد الغصيني وفرقة شبلي من طيرزبنا.

وبالإضافة إلى هذه الأسماء اورد النصوص التالية وهذه النصوص تحمل اسماء فرق أخرى:

١ - فرقة عبد الحوراني:

(كانت تتألف عصابات مسيحية تحت زعامة حاكم صيدا المسيو شارتيتية يقولون على رأسها المدعو عبد الحوراني من قرية الكفور في ضاحية النبطية)[١].

ثم ورد النص الثاني الذي يؤكد وجود فرقة عبد الحوراني وانه من بلدة الكفور..

(تألفت عصابة ثالثة في وادي الكفور وما حواليه تقطع الطريق من خان محمد علي إلى قرب قرية حبوش ورئيس هذه العصابة عبد

(١) مذكرات أحمد رضا: العرفان م ٣٣ ج ٨ ص ٩٩١- ٩٢.

الحوراني من قرية الكفور).

ثانياً: فرقة ادهم خنجر:

(تزعم ادهم بك خنجر الحركة الوطنية المسلحة في جبل عامل ١٩٢٠ والتي عرفت حيناً باسم حركة ادهم وصادق بالنسبة إلى صادق حمزة الذي قاد واياه عدة معارك ضد القوات الفرنسية منها معركة المصيلح - بين صيدا والنبطية -، ومعركة جسر الخردلي، ومعركة جبل رياق قرب بلدة المطلة في منطقة مرجعيون)[٢].

ويؤكد ويدعم هذا القول ما جاء في مذكرات احمد رضا المنشورة على صفحات مجلة العرفان حيث قال (بلغنا انه تألفت عصابة في جهات قرية المروانية من أدهم بك خنجر ومحمد علي حدرج الحونيني وحيدر قاسم الدويري. وانها بدأت اعمالها بسلب دركيين من درك الحكومة فطاردتها فرق المتطوعة)[٣].

(١) احمد رضا: العرفان م ٣٣. ج ٧ ص ١٠٣٠.
(٢) سلام الراسي: لئلا تضيع مؤسسة نوفل بيروت جزء أول ص ٩٤.
(٣) أحمد رضا: العرفان م ٣٣ ج ٨ ص ٨٥٨

ينتمي أدهم خنجر إلى عائلة الدرويش المعروفة في تاريخ الجنوب وكانت هذه العائلة من أصحاب الأملاك الواسعة وكان جده أحمد بك الدرويش من أصحاب المروءة إذ حمى المسيحيين خلال حوادث ١٨٦٠ في داره التي ما تزال قائمة حتى الان، في قرية زفتى - قضاء الزهراني - وظل مسيحيو القرى المجاورة يحملون هذه الدار ويحفظون لها هذا الجميل ولا يزالون. وأصبح أدهم هذا مسؤولاً عن منطقة الشقيف كلها واتخذ من قلعتها مركز قيادته ذلك قبل أن يتحالف مع صادق حمزة الفاعور.

ثالثاً: فرقة رشيد عطية:

(كثر تصدي الشقياء المسيحية على الطريق الموصل من صيدا إلى النبطية والتعدي خاص بالمسلمين. فاتخذ رشيد عطية وهو راس عصابة منطقة تعديه من جسر الزهراني إلى خان محمد علي قرب زفتى وتولت عصابة القليعة ودير ميماس قطع الطريق على جسر الخردلي بين النبطية ومرجعيون)[1].

رابعاً: فرقة عرب الحويطات عودة ابي تايه:

(اشيع اليوم ان عرب الحويطات - عرب عودة ابي تايه - قدم الجمع الغفير منها إلى ديار محمود الفاعور وان العسكر الشريفي مرابط في حاصبيا وكوكبا)[2].

خامساً: فرقة عرب الهيب:

(ولا يخفى على احد من سكان هذه الجهات ان هؤلاء الاشقياء هم في غالب الاوقات من عرب الهيب الذين كانوا لا يملكون شيئاً من المواشي ولا يفلحون الارض بل يعيشون مما يحصلون عليه من السلب والنهب وهذا امر تعودوه ومارسوه منذ عهد الدولة البائدة)[3].

هذا ما استطعت ان اتوصل اليه اثناء بحثي وتجوالي عبر ما قرأت

---

(١) مذكرات احمد رضا: العرفان م ٣٣. ج ٨ ص ٨٥٨.
(٢) المرجع نفسه: العرفان م ٣٥ ج ٣ ص ١٠٢٩.
(٣) جريدة البشير عدد ١١ أيلول ١٩١٩ ص ٤.

من كتب او صحف او مجلات فإن فاتني أن اذكر اسماء بعض الفرق الاخرى التي تواجدت فعذري اني حاولت وجهدت قدر استطاعتي في مثل هذه الظروف التي نعيشها اليوم.. وحسبي ان البحث عن هذه الفرق ليس عنوان بحثي وان كان عملي هذا يمت اليه بصلة وثيقة لأنني اعتقد ان ما ذكرته من اسماء واعمال يوضح للقارىء العزيز صورة واضحة عما انا بصدده.

تقدير عمل هذه الفرق

تفاقم امر هذه الفرق. وعظم تذمر الناس وأصاب اذى الثوار عساكر الفرنسيين وهم ينقلون الذخائر والمؤن من صيدا وبيروت إلى القوات المرابطة في النبطية ومرجعيون وحاصبيا.

وقد جرت بين الثوار والفرنسيين معارك عديدة بالقرب من مزرعة المصيلح بين صيدا والنبطية. واغار الثوار على شرذمة من الجند كانت تحرس جسر الخردلي فاثخنوها جراحاً وحاولوا نسف الجسر، وتغلبوا على رجال الجيش في جبل رباق قرب بلدة المطلة - قضاء مرجعيون - وهاجموا في مدينة مرجعيون ذاتها ثكنة العسكر وفرّ سكان المدينة إلى النبطية خوفاً فاستقبلهم اهلها طيلة شهر اقاموا خلاله مكرّمين على الرحب والسعة وبعدها عادوا إلى ديارهم شاكرين للأهلين عطفهم عليهم طيلة مدة إقامتهم في النبطية. مقدّرين لسكانها كل مساعدة قدموها لهم.

(وبصرف النظر عن طبيعة التنظيم والانضباط فإن ما يمكن ان يقال هو ان جبل عامل عرف انتفاضة ضد الاحتلال الفرنسي خيضت طبقاً

لمدى الفهم والوعي السياسي والتنظيمي. ورغم ان هذه الانتفاضة عرفت كثيراً من التجاوزات الفردية التي يمكن ان توصف بطابع العمل اللصوصي الطائفي الا ان هذه الاعمال كانت تفهم على انها موجهة ضد من يشكل الطرف المؤيد للسلطة المحلية المؤيدة للاستعمار الفرنسي)[1].

ويهمني قبل ان اختم هذا البحث ان اشير الى دور رجال الاقطاع في جبل عامل. فقد شعر هؤلاء باهتزاز مركزهم السياسي عندما اشتد ساعد الحركة الوطنية فوافقوا بسرعة على قرارات مؤتمر الحجير وأوفدوا مهنئين إلى الملك فيصل بن الحسين بتسلمه العرش واعلان تأييدهم له.. في حين انهم عندما اشتدت الحملة الفرنسية على عامل تقمصوا دوراً جديداً فأنكروا تعهداتهم وانكروا برقياتهم.. وزعموا ان تلك الوفود التي سافرت إلى دمشق لم تكن تمثلهم ومن ثم فإنهم وطدوا علاقاتهم مع فرنسا وكأن شيئاً لم يكن بالنسبة إليهم.

وأخيراً - فإن كان هذا العمل المسلح لم يعط ثماره المرجوة على الفور الا انه كان الخطوة الاولى في رحلة الالف ميل التي ادت الى نيل الاستقلال. مع العلم ان هذا العمل كان في حينه يفتقر اساساً الى التنظيم العسكري لذلك نراه ولد ممزقاً وكذلك انتهى.. وانه كان يفتقر إلى القيادة السياسية الواعية التي لو وجدت لكانت قادرة - على ما اظن - على ان تجنبه السقوط في اعمال السلب والنهب والاعتداء على السكان الآمنين. وربما استطاعت ايضاً ان تحوّل هذه الفرق إلى مقاومة وطنية منظمة.

---

(١) عدنان أيوب: مقال نشر في مجلة الحرية عدد ٨٤٦ ص ٣٦

الفصل الرابع

صادق حمزة الفاعور والبيئة التي نشأ فيها

أ - مسقط رأسه: دبعال.

«دبعال.. بدال مهملة مكسورة وباء مُوحّدة ساكنة وعين مهملة وألف ولام. قرية من عمل صور من قرى الساحل»

انها بلدة صغيرة تقع حالياً في قضاء صور تقوم على مرتفع منبسط يطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة الغرب. وتبعد عن صور حوالي خمسة عشر كيلو متراً إلى جهة الشرق. لا يزيد عدد سكانها عن الفي نسمة الا قليلاً. كلهم بسطاء يعملون في زراعة الأرض ورعاية الماشية وهذا هو موردهم الوحيد تقريباً. تمتد حولها ارض منبسطة فسيحة غنية التربة ومع هذا فإن السكان لم يمارسوا حتى هذا التاريخ زراعة الموالح يحول دون ذلك فقرهم المادي فهم يعيشون كفافاً ولذا فإنهم يمارسون إلى جانب زراعة الحبوب زراعة التبغ وان كانت في مساحات صغيرة.

شاركت هذه القرية قرى عامل كلها تغلُّب الأحداث الأمنية والسياسية وتحملت مع جاراتها العامليات جور وظلم وتعسف الاتراك وسيق عدد كبير من ابنائها إلى الجندية الاجبارية قسراً في ذلك الحين لأن ذويهم لم يستطيعوا يومها دفع البدل النقدي.. وخرج آخرون وان كانوا قلة «فراراً» واستطاعوا خلال فترة وجيزة ان يقودوا فرقاً مسلحة شغلت المنطقة ردحاً من الزمن وكونت نواة لفرق اخرى كانت ذات اهمية اذ استطاعت ان تلعب دوراً بارزاً في تاريخ المنطقة..

ب: بيت والده:

تربى صادق في بيت كثرت فيه الحركة انه بيت الشيخ علي الفاعور.. ويبدو لي ان هذا الشيخ لم يكن متفقهاً في الدين،، كما انه لم يكن مرشداً دينياً بالمفهوم العام الصحيح لهذه الكلمة وانما كان ـ كما اظن ـ قد التحق في مدرسة جويا وهي ذات شهرة بين المدارس العاملية. فأعفي بسبب الانتساب المدرسي من الطلب إلى الجندية ومارس حياته بهدوء وطمأنينة دون ان تزعجه وفي كل وقت ملاحقة عساكر الدولة. ولذا فقد ارتدى زي رجال الدين وأصبح شيخاً.. ومن باب المحافظة على وضعه الجديد مارس عملية تعليم ابناء قريته مبادىء القراءة والكتابة وان لم يكن هو ـ كما أظن ـ احسن منهم معرفة.

فقد جعل الشيخ علي احدى غرف بيته الخارجية مدرسة ضمّت بين جدرانها من احب التعلّم من ابناء القرية على ان هذه الغرفة كانت تتحول في الليل «ديواناً» يفد اليه اهل القرية البسطاء للتزود ببعض الحكايا والارشادات على ضحالتها.

وفي هذا البيت تربى خمسة اشقاء هم: حسين، يوسف، مصطفى، حسن، وصادق.. كلهم ابناء الشيخ علي حمزة الفاعور.

وقد لعب كل منهم دوراً بارزاً في حياة القرية الا انهم لم يتعلموا على أبيهم من المعرفة ما يمكنهم من اكتساب حق الاعفاء من الجندية لأن هذا الاعفاء كان يتم بعد نجاح الطالب في الامتحان المخصص لذلك مع العلم ان الدولة العثمانية هي التي كانت تحدد مكانه وزمانه ومعلّميه..

وهكذا بدأت اسماء أبناء الشيخ علي ترد في عداد لوائح المطلوبين.. فكان لأخيهم البكر حسين اثر كبير في سلوكهم الفردي..

جـ ـ قرار اخيه البكر حسين وذكر بعض اعماله:

حسين.. وهو الشقيق الاكبر لصادق ـ خرج «فراراً» من وجه رجال الدولة العثمانية محتجاً بذلك على تعسف وظلم رجال السلطة واستطاع خلال فترة وجيزة أن يجمع حوله عدداً من لداته المطلوبين فكونوا مجتمعين فرقة مسلحة لعبت في المنطقة دوراً بارزاً وكان لها اثر كبير في سلوك اخوته الباقين.

وقد عرفت هذه الفرقة باسم فرقة حسين الشيخ. وقد قاسى من تصرفاتها اهل القرى المجاورة الكثير من المتاعب.. ولا يزالون حتى اليوم يرددون حكاياه ويصفون اعتداءاته ويتحدثون عن قوته البدنية الخارقة..

وقد روى لي كثيرون من الذين زرتهم أثناء مقابلاتي الشخصية ـ حوادث ان صحت توضح بالفعل ان هذا الإنسان كان يتمتع بقوة

جسدية خارقة جداً .. وحسبي ان اذكر حادثتين رواهما لي مختار قرية دبعال يوسف فاعور وأيّد اقواله من كان حاضراً مجلسنا فقال:

اولاً: الحادثة الأولى:

كانت الحادثة الأولى في سجن صور حيث كان حسين الشيخ - اذ كانت السلطة قد القت القبض عليه - ينفذ حكماً صادراً بحقه .. وفي نهاية فترة (الحكومية) تلك حيث لم يبق على انتهائها سوى اثني عشر يوماً دخل «قاووشه» نزيل جديد يقال انه من مواطني الشمال وقد نقته الحكومة التركية الى الجنوب .. بعد ان اصدرت عليه حكماً بالاعدام .. ويضيف محدثي ان اخباراً تسربت إلى هذا السجين تفيد ان اعدامه سيتم خلال اليومين القادمين .. لذا فقد فكر هذا بالفرار من سجنه .. واعمل فكره في الطريقة التي يمكن ان توصله الى غايته وانحواً .. وهو في مثل هذا الوضع النفسي صمم - وكان قد لاحظ خلال إقامته في القاووش ضخامة جسم حسين واعجب بسواعده القوية ومن ثم فإنه سمع من نزلائه احاديث تشير الى قوته البدنية وتأكد من تلك الأقوال .. اقوال النزلاء بعد ان شهد الخوف يرتسم على وجوه الجميع ان تكلم حسين الشيخ او سمعه وهو يصدر اوامره لسائر النزلاء فتنفذ تلك الأوامر دون تردد ..

لذلك صمم هذا النزيل على مفاوضة حسين هذا مستعملاً معه الترغيب حيناً والترهيب احياناً.

طلب السجين المحكوم عليه بالإعدام من حسين الشيخ ان يخرجه من السجن وذلك عن طريق قلع قضبان الحديد المغروسة في النافذة الصغيرة وهدده ان لم يفعل انه سيغدر به متى جَنّ الليل .. فهو سيكون

في الحالين محكوم بالإعدام وما يهمه بعد هذا .. وماذا عساه يخشى.

ويبالغ الراوي وهو يتحدث عن سماكة قضبان الحديد وطول الاجزاء المزروعة في الباطون. ولا غرابة في ذلك ما دام نزلاء هذا القاووش كلهم من المجرمين - بنظر الدولة - وبعد حوار اجراه هذا السجين مع حسين وافق هذا على تنفيذ طلب ذلك .. وفي سكون الليل وتحت جنح الظلام عالج حسين الشيخ قضبان الحديد فلواها بيديه ثم اقتلعها من مكانها وخرج الساجين كلهم من النافذة وبقي هو وحيداً متظاهراً انه لم يفعل شيئاً وان كل ما حدث جرى في وقت كان هو مستسلماً لنوم عميق شاهداً ثبات اقواله انه لم يكن في عداد الفارين.

وفي الصباح جاء رجال الدرك كعادتهم يتفقدون الساجين .. وبعد فتح الاقفال لم يجدوا في الداخل غير حسين الشيخ ووجدوا ان قضبان النافذة قد اقتلعت .. فعلا الصراخ وهرول ضابط الحامية يستطلع التفاصيل وخرج رجال الدرك يبحثون عن «الفراره» واعلم الضابط من جنوده ان لا احد يستطيع فعل ذلك الا حسين الشيخ هذا الذي لا يزال قابعاً في إحدى زوايا السجن.

استدعى الملازم حسيناً الى مكتبه وخيّره بين امرين:

١ - ان يعيد الحديد إلى مكانه سوياً .. فإن فعل أطلق سراحه على مسؤوليته الشخصية واقسم على ذلك بشرفه العسكري.

٢ - ان لم يفعل سيجلده امام جميع الساجين اثناء الفسحة العامة .. في الهواء الطلق حيث يوجد متسع تصل اليه الشمس كل يوم ويخرج الساجين من غرفهم لقضاء استراحة قصيرة.

وامام هذا التحدي والتهديد .. قبل حسين الشيخ ان ينفذ الشرط

الاول.. كيف لا وقد تناقلت اخباره ابناء القرى فهابوه.. وسيعلمون اليوم - ان لم يفعل - أنه جُلِدَ في الساحة العامة من قِبَل رجال الدرك الذين كانوا بالأمس - لا يجرؤون على المرور بالقرب من المناطق التي كان يتواجد هو فيها..

لذلك تقدم حسين هذا من القضبان الحديدية فضغطها بيديه فقوسها ثم اعاد تركيبها في النافذة كما كانت من قبل.

وبالفعل وَفَى الضابط بوعده لحسين واطلق سراحه قبل ان ينهي مدة العقوبة المتبقية.

٢ - ثانياً: الحادثة الثانية:

كان أهالي البلدة - دبعال - يقومون ببناء مسجد يؤدون فيه شعائرهم الدينية واحتاج البنّاء إلى عتبات يضعها البناء فوق الابواب والنوافذ.. وكانت هذه العتبات - في ذلك الحين تكون من حجارة طويلة ضخمة.. وكان البناء قد ارتفع فأحضر الاهالي عتبة المدخل الرئيسي على ظهر جمل.. ولكنهم عجزوا عن رفعها إلى مكانها الطبيعي فوق الباب لأن ارتفاع ذلك المكان كان يقارب الثلاثة أمتار.. فجعلوا اخشاباً يقف عليها البنّاء تعرف (السقالة) ورغم عدد العمال فقد عجزوا عن حمل تلك الصخرة ووضعها في ذلك المكان المرتفع ذلك لأنهم لم يستطيعوا دفعة واحدة ان يصعدوا على السلم الخشبي المؤدي إلى مكان العتبة حيث (السقالة).

ومن غرائب الصدف ان حسين الشيخ هذا جاء ليلاً إلى البلدة متخفياً كعادته.. وهو في طريقه إلى منزل والده وجد تلك الصخرة على

الأرض - وادرك ان العمال عجزوا عن رفعها ووضعها في المكان المناسب المعد لها.. وصمم على تنفيذ ذلك مساهمة منه في بناء المسجد.. فوضع سلاحه جانباً واحتضن تلك الصخرة بساعديه ورفعها إلى كتفه وصعد السلم الخشبي ثم وضعها فوق الباب الرئيسي.. فهو لا يجهل مثل هذه الأعمال فقد مارسها قبل ان يصبح فراراً..

وفي الصباح.. توافد الناس الى حيث المسجد علّهم يجدون طريقة يرفعون بها تلك الصخرة. فوجدوها في مكانها الطبيعي.. فأدركوا تواً ان هذا العمل انما هو من فعل حسين الشيخ لأن احداً لا يستطيع القيام به غيره.. فذهبوا إلى بيت والده.. وسألوا عنه.. وبعد مقابلته انكر ان يكون هو الفاعل ولكنهم وجدوا حذاءه وكان جديداً قد تمزق من جانبيه وتأكدوا من فعلته تلك فشكروه.. وحفظوا له هذا الصنيع"[1].

اثر قوة حسين في نفوس عارفيه:

هاتين الحادثتين اخترتهما من كثير من الحكايا التي حفظها الناس عن قوة حسين الشيخ البدنية ولأجل هذه القوة كان الناس يهابون حسيناً ويخشون اذاه.. لذا فهم لا يجرؤن على الوشاية به او ارشاد رجال الدرك إلى المغارة التي كان يختبىء فيها أو إلى المكان الذي يمر به. وذلك

---

(١) مقابلة شخصية جرت في منزل عبد الأمير كمال - مع علي يوسف فاعور وهو ابن شقيق صادق. وكان مختار البلدة في ذلك الحين. تمت المقابلة في ٢٥ آذار ١٩٧٨.

لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين ان رجال الدرك لن يلاحقوا حسيناً وان فعلوا فلن يستطيعوا القاء القبض عليه من جديد فقد زرعت الاشاعات في قلوبهم خوفاً بدا واضحاً في تقاعسهم عن ملاحقته او مواجهته.

ومن اجل ذلك فلن يسلم الواشي من عقاب يفرضه عليه حسين أبداً. فهو لن يستطيع الهرب أو الإختفاء ان جد هذا في طلبه.

لقد اخترت هذين المثلين عن عمد لأصل من خلالهما إلى التعرف إلى البيت الذي نشأ فيه صادق حمزة وتربى ومن ثم لأتعرف على شعور الناس نحو هذا البيت لأتخذ من كل ذلك شعلة انير بها دربي وأنا أبحث العوامل التي أثرت في تربية صادق وقادت خطاه ليلعب الدور الذي ابحث عنه.

صادق حمزة الفاعور

كنيته وتاريخ ولادته:

إنه أبو محمد فهو ولده الوحيد الذي سلم له. وقد تزوج لمرات ثلاث: الاولى من آمنة مطر والثانية من خديجة حرب من ثولين ـ قضاء مرجعيون وهي ام محمد. والثالثة من عبدة علي بزي من بنت جبيل.

لم اعثر لصادق حمزة على تذكرة هوية في بلدته او مع احد أقربائه ولم يستطع أحد منهم ان يحدد لي تاريخ ولادته. لذلك تقدمت من دائرة نفوس صور بطلب أعيد إلي واعتبرته ملحقاً رقم (واحد)(١).

(١) الملحق رقم ـ ١ ـ

وبناء عليه فإن صادق حمزة الفاعور ولد في قرية دبعال، قضاء صور عام ١٨٩٤ والده الشيخ علي حمزة الفاعور وامه خديجة حرب من ثولين ـ قضاء مرجعيون له اربعة اشقاء هم حسين ـ يوسف ـ مصطفى ـ وحسن وهو اصغرهم وقد عرفوا كلهم بقوة جسدية خارقة.

ب ـ صفاته:

انه مديد القامة يبلغ طوله حوالي خمسة وثمانين ومئة سنتمتراً تقريباً عرف برشاقته وخفة حركته وسرعة تنقله واشتهر بمهارته باستعمال السلاح وبدقة إصابته للهدف.

لباسه:

كان صادق يرتدي الزي اللبناني القديم يظهر ذلك ويؤكده ـ الرسم الفوتوغرافي ـ في اول كتاب ـ وهذا الزي هو عبارة عن سروال عربي وسترة قصيرة الا انه كان يعتمر الكوفية والعقال الشريفي العريض المقصب.

جـ ـ نسبه:

أ ـ (يعود آل الفاعور بنسبهم إلى آل الصغير الذين اصبحوا فيما بعد يعرفون بآل الاسعد سكنوا في البدء بلدة معروب ـ قضاء صور ـ ومن ثم انتقل بعضهم إلى دبعال فاتخذها موطناً جديداً)(١).

ب ـ المعروف ان آل الفاعور امراء عرب الفضل في الجولان والملقبون بآل قطر الندى هم اشراف سادات العرب واعرقهم نسباً

(١) مقابلة مع مختار دبعال علي يوسف فاعور. جرت في ٢٥ آذار ١٩٧٨ م.

لأنهم يرتقون إلى الخلفاء العباسيين ويمتون بنسبهم إلى الرسول الكريم ومنهم الامير محمود الفاعور الذي كان قد اعلن الثورة على الافرنسيين في بداية عهد الانتداب وذلك تأييداً لنسيبه الملك فيصل الهاشمي الطامح بعرش سورية في ذلك الزمان. كان مقره قرية واسط في الجولان)"[1].

ومن ثم اصبح مقر محمود الفاعور هذا بلدة القنيطرة في الجولان[1].

تعليق حول ما أورده الأستاذ الرامي عن نسب آل الفاعور في كتابه لئلا تضيع ص ٤٧ ـ ٤٨.

وبعد تتبع لسيرة صادق يستطيع القارىء ان يلاحظ الامور التالية:

١ ـ بعد ان وضعت الحرب اوزارها وكان صادق حمزة الفاعور قد اصبح زعيم عصابة مرهوبة الجانب واصبح يدعى امير الجبل اتصل به الملك فيصل عن طريق اعوانه وكذلك اتصل به رجال الامير عبد الله ـ امير الاردن وسيرى ان صادق حمزة عمل بأمرة هذين الأخوين وتحت اشرافهما وانه ظل مخلصاً لهما طيلة حياته.

٢ ـ عندما كانت الدولة الفرنسية تلاحق صادق داخل الأراضي اللبنانية كان هذا يهرب إلى الحولة حيث كانت سلطة محمود الفاعور وسيجد المتتبع ان صادق حمزة ترك محمود هذا عام ١٩٢١ ورحل إلى الجولان بعد ان انقلب محمود الفاعور على الملك فيصل وانضم إلى الفرنسيين.

٣ ـ بعد معركة ميسلون ودخول الفرنسيين إلى دمشق رحل صادق

(١) سلام الراسي: لئلا تضيع مؤسسة نوفل بيروت ج ١. ص ٤٧ ـ ٤٨.

حمزة إلى الأردن وعمل في ظل الامير عبد الله شقيق الامير فيصل وانه بقي هنالك حتى نهاية حياته.

٤ ـ ان صادق حمزة لم يتخذ له موقفاً مناهضاً او معادياً من قضايا الملك فيصل أو قضايا اخيه الامير عبد الله او من انصارهما طيلة حياته قط...

هذه الملاحظات تعزز نظري ـ ورأي الاستاذ سليم الرامي الذي اورده في كتابه لئلا تضيع خاصة اذا عرفنا ان صادق حمزة كان امياً وانه لم يكن صاحب رسالة ثورية ذات منهاج مدروس.

ويغلب الظن عندي ان الدافع الوحيد لمواقف صادق هذا هو ما كان صادق يؤمن به من ان صلة نسب كانت تجمعه بالملك فيصل وأخيه. ومن هذه الزاوية بالذات كان ميله وتعصبه الشديد العاطفي لكل قضية تهمهما ولعلهما كانا يعرفان ذلك الشعور عنده فيعهدا إليه بكل امر صعب يحتاج إلى اخلاص وجرأة.

د ـ طفولة صادق:

عاش صادق حمزة في كنف أبيه طفلاً مدللاً كيف لا وهو صغير اخوته. فترك وضع ابيه وموقعه بين ابناء بلدته في نفسه عادات وتقاليد كثيرة انعكست على تصرفاته يوم اصبح شاباً وقد تميز بها على لداته واترابه في القرية. فقد عُرف صادق بصدقه اذا وعد وبوفائه اذا صادق وباحترامه للمرأة وبحيائه منها كما عرف بشدة تمسكه ومحافظته على الكلمة التي تحمل وعداً له او منه.

كل هذا ترك في نفسه كرماً لا حدود له وحباً لقرى الضيف ونظرة

لكل ضعيف وكثيراً ما شهد في ديوان أبيه حلولاً لمعضلات الناس فاستهوته هذه الاحكام وراقب اجراءاتها حتى وعاها بالممارسة فأحبها.

وعندما اصبح صادق فتى وامتلأ جسمه فتوة وتكامل نموه اغوته الطبيعة بجمالها واتساعها وتعشق حمل سلاح الصيد في البدء.. ولكي يشبع نهمه إلى كل هذه الأمور صمم ان يكون راعياً لماشية القرية فقد وجد في هذه المهنة ما يشبع نهمه للصيد واقتناء السلاح.. ووجد في عمله هذا ما يساعده على ان يأمر فيطاع..

وهكذا كان ـ واصبح باستطاعة صادق ان يطلق النار متى احب وفي اي اتجاه اراد حيث كانت الطيور تروح وتجيء من كل اتجاه ومن هنا تكونت عنده مهارة التصويب..

وهذا كل ما كان يرجوه ذلك الفتى من حياته ولذا فقد احب هذه المهنة واخلص لها بغير حدود.

هـ ـ شخصيته:

عاش هذا الفتى مرتاحاً هادىء البال ردحاً من الزمن يخرج في الصباح الباكر مع الماشية سعيداً ممنياً نفسه بصيد سمين وفير وبإصابة اهداف دقيقة وبنزهة هانئة مع قطيع مطيع لا يقاوم ولا يعترض ويعود في المساء طافح البشر نشيطاً يلتقي اصحابه لبعض الوقت يحادثهم.. يقص عليهم مغامراته مع السمن والشحرور وهم يسردون له اخبار الضيعة واحداثها اليومية معلقين على كل حادثة بما تجود به مخيلاتهم.. وتدور حكايا التنور والساحة في الريف العاملي.. وتكون هذه الحكايا هي مقالات الصحف اليومية التي لم تر النور أبداً وانما كانت تخرج اخراجاً فنياً دقيقاً. تلك الصحف لم تكن مكتوبة انما هي كانت حكايا

تدور في شوارع البلدة وفي خيم الصيف حيث تعمر الحقول بأشجار التين والعنب.. او في جلسات الشتاء حول الموقد المتوهج بنار الحطب او ما جفف من روث الدواب..

كان صادق حمزة يستمع إلى بعض تلك الحكايا ثم ينصرف فهو المتعب المرهق الذي لم يتوقف طوال نهاره وعليه ان يخلد إلى الراحة المبكرة ليعود اليه نشاطه مع بزوغ فجر جديد.

ومرت الأيام سراعاً. وبدأت احاديث الضيعة تتعدى حدودها ومن ثم تطورت المواضيع وتغيرت.. فهذا فلان من القرية المجاورة اعتدى عليه رجال الدولة وسلبوه غلة موسمه وذلك آخر كمن له لص خارج ضيعته (وشلّحه) أي سلبه ـ عنوة ما كان يحمل من نقود.. وذاك ثالث اخذته الدولة العثمانية عنوة رغماً عنه وعن اهله وساقته إلى معسكرات التدريب تعده لأيام ثم ترسله ليحارب في بلاد اليمن أو عند عريش مصر.

كثرت هذه الحكايا.. وبدأ القلق ينغص على صادق راحته ويُقضّ عليه مضجعه وتحلّقت به الوساوس والأوهام لا سيما وان اخوته قد اصبحوا خارج البيت.. وان اخاه حسيناً لا يزور بيته واطفاله إلا لماماً وان فعل فإنه يأتي متخفياً على رغم ان اخباره انتشرت في قرى المنطقة كلها.. فهو يعيش في المغاور يسطو على المارة ينتظر قوافل تجار القرى وهي في طريقها إلى أسواق المدينة لأن البلاد لم يكن لها عهد بالسيارة بعد فيسرق منها ما استطاع حتى ولو اضطره ذلك إلى الفتك بالناس ان لم يذعنوا ويرضخوا وينفذوا طلباته.

سمع صادق كل هذه الأخبار من لداته في القرية فلم يعرها التفاتاً

بادي، ذي بدء..

وما شأنه هو ان فعل اخوه ذلك ـ هكذا كان يفلسف الأمور. ولم يهتم هو ما دامت الدولة حتى ذلك التاريخ لم تطاله بعد بصغيرة او كبيرة وما دام لم يجرؤ احد بعد على الاعتداء عليه او على قطيعه فهذا كله عاله. وهذا كل ما كان يعنيه في ذلك الحين فقد كان يرى بنظره انه مجبر فقط بالدفاع عن هذا العالم المحبب إلى نفسه.

و ـ فراره:

ومرت الأيام واشتد ظلم الدولة العثمانية ـ بنظر صادق عندما ورد اسمه في قائمة المطلوبين للجندية.

وكيف لا يرد اسمه وهو لم يكن يتمتع بصفة واحدة تسمح بإعفائه.. وفي ذلك الوقت لم يكن باستطاعته هو ولا باستطاعة والده ان يدفع المبلغ المحدد كبدل إعفاء من الليرات الذهبية ومعنى ذلك ان الدولة ستحرمه بهذا الطلب هناء عيشه ومن ثم هي ستسلخه عن ذلك القطيع الذي احب وستنغص عليه لذة حياة عاشها وعشقها زمناً.

وفي أحد الأيام وبينما كان صادق حمزة يسوق قطيعه إلى المرعى، داهمه جنديان تركيان مسلحان ارسلا بطلبه واستطاعا ان يلقيا القبض عليه اذ فاجآه ثم ساقاه بصحبتهما إلى صور طبقاً للأوامر التي اعطيت لهما ساعة تحديد المهمة وكانا يعتقدان ان صادق سينقل من صور إلى معسكرات التدريب تاركاً قطيعه بلا مدبر وبذلك تكون الدولة قد تخلصت من شره.. وليكونا هما في مأمن من انتقامه او انتقام اخيه لأنه لن يعود إلى المنطقة قبل انقضاء فترة طويلة من الزمن.

وبعد ان قطعا به مسافة عن الضيعة احسّ صادق بحراجة الموقف وارهقه شعور بالوفاء للقطيع الذي خلفه دون مدبر فقد كان منذ وقت قصير المسؤول عن سلامة كل شاة، وكانت نفسه قد امتلأت حقداً على ذينك الجنديين وراودته الحرية التي نعم بها سنين طويلة وتمثل امامه مستقبل مظلم يساق اليه عنوة فضجت بنفسه افكار وسمع اصواتاً تخرج من داخله تسائله.. ما دخله هو في حرب الاتراك في اليمن.. وضد من سيحارب اذا سيق الى هناك.. فهو لا يعرف عن كل تلك الأمور شيئاً.

تخيّل كل ذلك بلحظات.. ثم عزم على تنفيذ امر لا بد منه حسب اعتقاده.. ولتفعل الدولة التركية بعده ما تشاء.

وفي زحمة هذه الافكار. انقض صادق على احد الجنديين فأمسك به على عجل ـ وهو خفيف الحركة.. والقاه ارضاً ثم استوى على بارودته فأصبح الجندي اسيره بعد ان كان منذ لحظات آسراً.

اما الجندي الثاني فقد لاذ بالفرار لتوه لأنه على ما يبدو لم يكن يؤمن بما يفعل او لعله سمع اخبار حسين الشيخ شقيق صادق فخاف عاقبة المصير ان اقدم على قتل صادق ـ هذا ان تمكن ـ وسيان عنده ان فشلت محاولته او نجحت فإن امره سينتهي إلى موت محتم. لذلك فضل ان يلوذ بالفرار متيقناً ان صادق حمزة لن يلحق به ولن يطلق عليه النار.

وكان هذا الحادث ايذاناً لبدء عصيان صادق والتحاقه بأخيه.

وهكذا اضافت الدولة العثمانية إسماً جديداً إلى لائحة المطلوبين

القارين(١).

كيف أصبح صادق حمزة رئيس عصابة:

حمل صادق حمزة بندقية الجندي وانتقل إلى حيث كان يتواجد اخوه حسين فأخبره تفاصيل ما جرى له ثم انضم إلى عصابته.

ولم يطل الأمر بصادق الجندي طويلاً حتى رُقي إلى رئيس عصابة.. فكيف كان ذلك.

وقعة المجادل الثانية:(١)

المجادل قرية تقع إلى الجنوب الشرقي من بلدة جويا. وهي لا تبعد عن دبعال سوى كيلومترات قليلة.

كان حسين الشيخ ـ شقيق صادق قد غزا ـ قافلة دواب تخص اهل المجادل وهي في طريقها إلى مطاحن وادي الحجير فسلبها احمالها.

كان ذلك قبل ان يصبح صادق زعيم العصابة وقد وردت إلى حسين انباء تفيد ان أهل المجادل يعدون أنفسهم لأخذ الثأر منه. فصمم هو على ان يعاود الكرة معهم لأنه ـ حسب زعمه لا يقبل التحدي ولا يرده ـ ويبدو ان خبر تصميم حسين على الهجوم الجديد على قوافل اهل المجادل قد عرف به الأهالي (فقد كان مع حسين الشيخ احد ابناء المجادل المدعو عبد الله فريدو)(٣) فاستعدوا لذلك ولجأوا إلى الحيلة

---

(١) تم وضع هذه المعلومات بعد مقابلات شخصية ضمت عدداً كبيراً من شيوخ قرية دبعال. وكانت المقابلة يوم ٢٨ آذار ١٩٧٨ في دبعال.
(٢) الملحق رقم ٦.
(٣) الملحق رقم ٤.

لتلقين حسين الشيخ ورفاقه درساً لن ينسوه فتسلم بلدتهم من اذاهم إلى الأبد.

حمّل اهل المجادل دوابهم تبناً ، وارسلوها مع النساء آخر الليل باتجاه مطاحن الحجير باكراً كالعادة وكمن الرجال على جنبات الطريق حيث قدّروا ان يكون افراد العصابة مختبئين.. وكان سلاح اهل المجادل العصي والحجارة اذ أن الاسلحة النارية ـ في ذلك الحين ـ كانت وقفاً على رجال الدولة او افراد العصابات.

وصلت القافلة حيث كان الكمين وخرج افراد العصابة من مخابئهم يعترضون سير الدواب وخلال ثوان معدودات وجدوا انفسهم محاطين بعدد كبير جداً من أهالي المجادل وكان من عادة اللصوص في تلك الفترة أنهم لا يطلقون النار ولا يقدمون على سفك الدماء إلا في حالات الضرورة القصوى أو في حالات العجز العضوي عن تأمين النصر أو الإنسحاب بسلامة حتى وإن كان الخصم مجهولاً بالنسبة إليهم.. فكيف يكون ذلك ممكناً وبلدا المتحاربين متجاورين وكلاهما يعرف الآخر.

إذن لا مجال مطلقاً لإطلاق الرصاص أو محاولة القتل.. وإنما ستكون المعركة مناوشة بالعصي والحجارة وستكون الغنائم من نصيب القوي المقتدر..

وقف صادق واخوه حسين في وجه المهاجمين وذلك لثقتهما بقدرتهما الجسدية الخارقة وارسلا قافلة الدواب مع الآخرين إلى المغارة. وبدأ الكر والفر.. ولم يمضِ طويل وقت حتى دب الوهن والعياء في جسم حسين.

القائد حسين وكاد يقع أرضاً لكثرة ما بذل من جهد.. فقد كان ضخم الجثة بطيء الحركة رغم قوته.. ولذلك فقد تولى صادق قيادة المعركة ومناوشة العدو وكان عليه في نفس الوقت ان يخلص اخاه ويحميه.. لذلك دفعه خلفه وبقي هو وحيداً يشد على الرجال فيفرون من بين يديه كالمعزى إذا شد عليها الذئب ثم يعود يدفع بأخيه ثانية باتجاه القافلة.

وطال الأمر كذلك ولم يضعف صادق ولم تهن عزيمته ولم يداخله الوهن ولم يستطع أهل المجادل على كثرتهم تخليص شيء من بضاعتهم وان كانت تبنا كما انهم لم يستطيعوا ان يلحقوا أذى بصادق..

إن هذه الحادثة يعرفها كل أبناء المنطقة. منطقة جوبا - وهي تشير بوضوح الى ان صادق حمزة كان لا يحب القتل في سبيل القتل وإنما كان إنساناً لا يقبل التحدي. يتمتع بشجاعة خارقة وبخفة حركة ورشاقة تحرك ولذا فقد استطاع بمفرده ان يخلص اخاه ويأخذ الغنائم وينجو من الأذى على رغم كونه بقي وحيداً في حين أن الرجال الذين كمنوا له كانوا كثيرين وقد أرادوا به وبأخيه سوءاً.

وهكذا فقد انتهت هذه المعركة بتخلي حسين الشيخ عن قيادة العصابة لأخيه صادق ومنذ ذلك اليوم أصبحت تلك العصابة تعرف بعصابة صادق حمزة.

واتخذ صادق من نفس المغارة التي كان يقيم فيها أخوه حسين وهي مغارة البزار الكائنة في وادي الغاور.. وهذا الوادي يقع بين قرى جوبا - عنبيت - وادي جيلو ويؤدي صعداً إلى وادي عاشور. فوادي الذب قرب كفرا وهي عبارة عن سلسلة أودية متلاحقة كان يستعملها

المهربون طريقاً يسلكونها ليلاً هرباً من رجال الجمارك.. فهي صعبة المسالك.. لها منافذ عديدة تسير باتجاهات مختلفة. وعلى كتف إحدى هذه المنعطفات تقوم مغارة عرفت باسم مغارة البزار[1] تقع في خراج بلدة جوبا ولا يمكن الصعود إليها من قعر الوادي فطريقها حادة الإرتفاع..

أصبحت تلك المغارة مقر صادق حمزة ومنها تنطلق دورياته وإليها تعود بالغنائم.. وسيطر الوهم على شعور رجال قوى الأمن فقد اشاع الناس ان نمراً شرساً يقيم في تلك المغارة.. وكثيراً ما قتل هذا النمر عدداً من المارين أو هاجم قطعان الماشية..

ومما يذكر وأنا أعمل في مدرسة جوبا في مطلع الخمسينات هاجم نمراً أحد أبناء وادي جيلو في ذلك الوادي فمزق لحمه ولكنه لم يقتله..

تحدث الناس عن أعمال هذه العصابة ما يكفي لملء صفحات عديدة.. فقد نسبت إليه الخوارق ونشرت أخباره على الصفحات الأولى من الصحف اليومية.. لذلك سأكتفي بذكر بعض ما وصل اليّ بالتواتر على سبيل المثال عليّ بذلك أن أتعرف من خلاله على صادق حمزة الفاعور عن كثب ودون ان أعتمد على ما يصوره لي الخيال. وقد جعلت مصدر ما وصل إلي من اخبار صادق موزعاً كما يلي:

١ - الأخبار السماعية

أ - قتيل عين بوكب[2].

(١) ملحق رقم ٦. (٢) الملحق رقم ٦.

كان صادق حمزة الفاعور ورفاقه يملأون الماء ليلاً من عين بوكسه ويغتسلون وطبعاً كان هؤلاء يتقنون فن المراقبة لذلك فقد انقسموا على عادتهم إلى فريقين:

الأول: ينزل إلى حيث العين يقضي حاجته.

الثاني: اتخذ له مواقع حراسة يحمي منها رفاقه من أي هجوم طارىء، مباغت ثم يتناوب الفريقان العمل.

وبينما هم كذلك.. سمع صادق وقع أقدام فأنصت وطلب من الجميع اخفات اصواتهم. وبحكم الخبرة والممارسة اليومية ادرك صادق أن القادمين اثنين لا أكثر. فصرخ بهما وطلب منهما ان يعرّفا بنفسيهما فأجاب الأول إنهما من الجولة وانهما فاران ولكن ذلك الصوت لم يكن غريباً على سمع صادق انه صوت عباس راضي - هو من بنت جبيل ومتزوج من بلدة جويا - فرد صادق عليه بل أنت عباس راضي.. فمن الذي برفقتك..

فما كان من الرفيق - الرجل الثاني - إلا أن اختبأ وراء صخرة كانت قريبة منه وبدأ يطلق النار باتجاه صادق دون ان يلتفت إلى صوت عباس يزجره..

صاح به صادق وكان جهوري الصوت يا هذا.. أنا صادق حمزة. كفّ عن اطلاق النار وتابع طريقك فإني أعفو عنك ولا شك انك قد سمعت عن مهارتي ان صوّبت فانج بنفسك ووفر دمك..

فلم يلتفت رفيق عباس إلى كل ذلك وكأنه أصيب بالصمم.. ولم يصغ لصوت رفيقه عباس المتواصل التزام الأمر بوجوب التوقف عن إطلاق النار بل اشتدت غزارة طلقاته باتجاه صادق يريد قتله.

وهنا أمسك صادق سلاحه وراقب مصدر بروز اللهب عند اطلاق النار وكانت الظلمة تغطي المكان.. فحدد مكانه ثم صوب بذلك الإتجاه رصاصة واحدة فأصابت رفيق عباس في صدره ووقع قتيلاً.. وعندها لاذ عباس بالفرار ناجياً بنفسه.

وبعدها تبين ان القتيل هو ابن اخت عباس راضي ومن غرائب الأمور ان عباس راضي(١) هذا وبعد تلك الحادثة بفترة وجيزة احتمى عند صادق واصبح من أفراد عصابته.

ب - الأخبار الصحفية

تسلّط عصابة صادق:

تناقل الناس اخبار صادق فذاع صيته في كل ناحية ووفد إليه الفارون من كل ناحية يحتمون به وبذلك كثر عدد أفراد هذه العصابة وعظم شأنها وأصبح بإمكانها ان تصول في المنطقة وتجول، تفرض الجزية على أبناء القرى أو تغير عليها في وضح النهار تسلبها ما وصلت إليه الأيدي من متاع أو أموال أو غلال. ولم تكتف بذلك بل انها نصّبت نفسها سلطة حاكمة بديلاً عن الدولة فغدت هي تحدد نسبة الضرائب وكلفت بعض رجالها الأشداء بجبايتها بموجب ايصالات وضعت خصيصاً.

من أجل ذلك ومن غرائب الأمور أن الدولة بعد الإنتداب. اضطرت إلى الإعتراف بتلك الإيصالات رحمة بالناس الذين وقفوا من

(١) ملحق رقم ٤

تلك الأعمال موقف المتفرج فهم لا يجدون في الدولة الشرعية حامياً يدفع عنهم شر هذه العصابات ومن ثم فهم لا يستطيعون ان يمتنعوا عن تنفيذ طلبات افرادها إذ لا قدرة لهم على مقاومتها. ولعل في تلك الصورة التي عرضها الشيخ أحمد رضا في مذكراته ما يعبر عن تلك الحالة أبلغ تعبير، فقد قال:

(الأخبار الطارئة في جنوبي عامل (بلاد بشارة) إن الثائرين قد ملكوا ناحية المنطقة وإن الحكومة لم يبق لها أدنى أثر ولا سلطة، حتى أن مأموري المالية والدرك لا يقدرون على التجوال فيها وهي أشبه بالعصيان التام)(1). وإذا أضفت إلى هذا القول ما نشرته جريدة البشير عن حوادث قضاء صور أكون قد حاولت توضيح ما كان مبهماً في الصورة الأولى وأكون قد وضعت أمام قارئي الباحث كل المعطيات التي توصلت إليها فيستطيع بعدها أن يتعرف على حالة تلك المنطقة في وقت اغفلت فيه اخبارها عن عمد ولم يحفظها حتى العامليون.

فقد جاء في جريدة البشير مانصه:

(حوادث هذا القضاء - يعني قضاء صور - المنكود الحظ تكاد تنحصر في أعمال السلب والنهب والقتل التي تجريها عصابة من اللصوص من نحو من خمسة أشهر إلى اليوم والتي لم تزل تسرح وتمرح بدون ممانع ولا معارض ومما لم يسبق له مثيل هو أن صادق الحمزة مع عصابته يطلب من القرى الأموال الأميرية كأنه ملك البلاد وقد أجبر أهالي عين بعال على دفع /٣٦٠/ ليرة وهو ينادي بانه يريد ان يجمع كل أموال المهاجرين من قضاء صور فإنها أموال سائبة ترجع ملكيتها له)(2).

(١) مذكرات احمد رضا العرفان م ٣٣ ص ٨٥٦.
(٢) جريدة البشير ٢٠ نيسان ص ٢ عام ١٩٢٠.

ثم أضافت الجريدة تقول مخبرة:

(... أدى الخوف ببعض القرى إلى أن تدعو صادقاً المذكور وتقيم له الولائم وتدفع له الأموال ليتركها وشأنها)(1).

وبعد ذلك تعاود تلك الجريدة لمتابعة الحديث عن صادق وعصابته فتقول:

(... وصار الآن رجال العصابات ينهبون الكل دون تمييز بين طائفة وأخرى لأنهم يريدون من وراء ذلك المكاسب السهلة انا ننبه القراء الكرام أولاً إلى أن الأشقياء لم يتعرضوا لأبناء مذهبهم وثانياً أنهم رفقوا بالشاب بشارة موسى لمجرد احتمائه بصداقة الحاج اسماعيل افندي يحي (2)).

درس وتحليل:

بعد قراءتي لهذه النصوص تصورت أن صادق حمزة هذا قد أصبح من أغنياء بلدته بل هو من أغنياء المنطقة بأسرها. واعتقدت إنه على الأقل قد غدا من أصحاب الملكيات الواسعة.

فذهبت إلى دبعال - مسقط رأسه - أتسقط أخبار ملكيته التي خلفها أتعرف على المدى الذي بلغته التركة منقولة كانت أو غير منقولة..

وبعد عدة زيارات قمت بها لعدد من سكان البلدة متعددي الميول سياسية وبعد أحاديث استعملت فيها وسائل اللف والدوران حيناً

(١) جريدة البشير تاريخ ٢٠ نيسان ص ٢ عام ١٩٢٠.
(٢) المرجع نفسه: ٢٠ نيسان ص ٢ ١٩٢٠.

والصراحة أحياناً.. بعد هذا كله عرفت من اعترافات الجميع الأصدقاء والخصوم - إن صادق حمزة لم يكن طامعاً بثروة فهو لم يخلف لولده الوحيد تركة منقولة أو غير منقولة وشاهدت بأم العين بيت أبيه حيث ولد هو وقد أصبح اليوم طللاً وتحول إلى كومة أحجار تشير بوضوح الى أنها لم تعرف الخرسانة المسلحة يوماً إنما هو عبارة عن كومة حجارة بنيت بالطين وسقفت بالتراب الأحمر بعد أن اضيف إليه القش.. وهكذا كانت تبنى غالبية بيوت القرى العاملية..

وعرفت بعدها أن ولده محمداً مات حديثاً معدماً - وكنت قبل قد شاهدته مرات في بلدة جويا وهو يشتري بعض الحاجيات وتعرفت إليه.. كان ذلك قبل أن أكون مهتماً بالبحث عن أخبار والده. وأذكر أن محمداً هذا كان بديناً قصيراً لا يبدو عليه أثر من رشاقة والده أو نشاطه.. وأذكر أنه كان بطيء الخطوات هادئاً.. متكرشاً.

عجبت لإجماع أقوال أهل القرية.. وعاودت السؤال بلطف.. كيف يكون الأمر كذلك والروايات والصحف تشير بوضوح الى وفرة الأموال التي كان يفرضها على خصومه في القرى.. أو يجبيها ضرائب فرضتها الدولة.. أو يسلبها من المارة.. فقد تعددت بالنسبة إليه طرق الجباية وأساليبها..

فقيل لي رداً على تساؤلاتي إن صادق حمزة كان يحرم على نفسه كل مسكر أو مخدر وإنه لم يتعرف على الميسر في حياته قط، إنه فرض على رفاقه وجوب التقيد والالتزام بما حرم على نفسه.. ثم أضاف بعضهم لو عرفت أيها الأخ أعمال صادق أيام المجاعة لسهل عليك تصديق ذلك ولتخلصت من هذا الضياع الفكري.. ومن ثم ادركت اين

ذهبت تلك الأموال وكيف.. و تأكدت بعدها أن الغاية التي كان صادق من أجلها قد فرض الجزية على القرى ثم قام بجبايتها كانت أسمى بكثير مما تنشره بعض الصحف المغرضة على صفحاتها اليومية..

عام المجاعة.. وحالة الناس في سفر برلك..

عام خمسة عشر وتسعماية والف ميلادية كان عام شؤم على العامليين.. بل على اللبنانيين عامة - فتركيا التي دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور رأت تحركات رجال السياسة وأصحاب الفكر العرب وسمعت دعواتهم الإستقلالية وعلمت بالمفاوضات التي كانت تدور سراً بين العرب أنفسهم من جهة وبينهم وبين ممثلي دولتي فرنسا وبريطانيا من جهة ثانية. فهالها الأمر وكشرت عن أنيابها فزرعت الرعب في أنحاء القرى وداهمت القرى تغتصب ما تجد فيها من أنواع الحبوب وفرضت على الناس ضرائب جديدة لا قبل لهم بها ولا طاقة لهم على تأديتها.

ثم وجدت تركيا أنها بحاجة إلى عنصر الشباب تغذي بهم طوابيرها فأفرغت القرى العاملية من هؤلاء الشباب المسلمين وذلك عن طريق تطبيق قانون الجندية الذي كان يُعفى منه المسيحيون من أبناء القرى.. وانْ تواجدوا.

فأدى تطبيق هذا القانون الى بوار الأرض فأهملت الزراعة.. ولما يزرع المواطنون الذين تركوا عاجزين عن أداء المهام العسكرية متزرعين في قراهم - ما دامت تركيا ستأخذ الحب بعد جنيه إن سلم من الآفات. مع العلم ان كل امكانية عمل في الزراعة قد تعطلت فالشيوخ اصبحوا

عاجزين عن القيام بمثل هذه الأعمال والشباب الذين لم تصل إليهم يد الدولة اصبحوا «فراراً».

ولذلك تقلّصت المساحات المزروعة كثيراً فأدى ذلك إلى حاجة الناس وعوزهم لأن الفلاح كان في ذلك الحين يعتمد في مصروفه السنوي على موسمه الزراعي فقط..

وما دامت الأرض قد اصبحت بوراً فمن انّ تكون المواسم.. وكيف سيقضي هذا المتزرع العاجز أيام عامه..

لم يكف العامليون هذا البلاء التركي.. اذ نزل بهم بلاء أعظم فقد جاءهم الجراد بنوعيه: الزاحف والطائر.. وامتلأ الجو بسحب من هذا الجراد الذي ما ان وضع أقدامه فوق الأرض حتى بدأ يعمل جاهداً هذا الزاحف يرعى ما وصل إليه فلم يترك اخضراً ولا يابساً وذلك الطائر غدا يبحث وطيرانه عن الأخضر واليابس. والشعب العاجز لا حول له ولا قوة لذلك فهو لم يستطع مكافحة هذا الأذى اللاحق به كما ان الدولة التركية لم تحرك ساكناً فهي لاهية لا يعنيها هذا الأمر من قريب أو من بعيد.. ولم تحاول مدّ يد العون لإنقاذ ما بقي من المواسم ما دام السكان العرب لم يصبحوا بعد أتراكاً ولن يصبحوا..

وبدأت معركة صراع الحياة بين قويّ معتدٍ يلتهم مواسم ضعيف مرهق واستطاع بعض الضعفاء سرقة ما أمكن من السنابل ولكن هذه الكمية لم تكن لتكفي حاجة المواطنين أنفسهم فكيف ستغدو حالهم وقد تحرك الأتراك يطلبونها مؤونة لفيالق جيشهم.

واستمر صراع التموين على أشده.. هذا يخبىء مؤونته تحت الأرض وفوقها.. والدولة ترسل عيونها في أنحاء القرى يراقبون

ويسترقون السمع عليهم يعودون بصيد سمين فتداهم الدوريات المكثفة البيوت.. والويل كل الويل لمن تجد الدولة عنده مخبوءاً. فإنها بعد أن تصادره تفرض على صاحبه غرامة مادية باهضة لن يستطيع دفعها..

وأثناء هذا الصراع المرير بين الدولة والفلاح جاءت ألمانيا تزاحم المواطنين لقمة عيشهم ايضاً فهي كانت تغري المواطنين ببيع ما خبأوا من حبوب بأسعار خيالية فلم يستطع الفلاح مقاومة هذا الإغراء لأنه لم يكن يحلم بمثل هذه الأسعار. وقد عمدت ألمانيا ـ فوق ذلك ـ إلى رفع عصا غليظة تخيف بها من يمتنع عن البيع ذلك بأنها سترفع أمره لتركية وتزعم ان هذا الفلاح اعترف لها بملكية مخبوءه من الحبوب لذلك بدأت عمليات البيع السري تنتشر وتتوسع فالمواطن العادي لم يكن يفكر بغده ابداً وقفز سعر مد القمح من عشرة قروش إلى خمس ليرات ذهبية.. فست.. فسبع.. فعشر واستمر الإرتفاع حتى وصل السعر إلى خمس عشرة ليرة ذهبية للمد الواحد.

ورافق هذا الإرتفاع الحاد في أسعار الحبوب عمليات مقايضة رهيبة.. فأصحاب الملكيات ـ وكانوا لا يعملون في ارضهم ـ بدأوا يعرضون مساحات واسعة من تلك الأرض مقابل (مدّ أو مُدين[1]) من طحين الحنطة أو الذرة. فقد عضهم الجوع بنابه واصاب كل المواطنين حتى اولئك الذين باعوا مواسمهم.

في هذا الجو كثرت اعمال السلب والنهب ومات الناس جوعاً على الطرقات العامة وفي البراري حتى وفي الساحات العامة ـ تماماً كما تموت

(١) المد: وحدة كيل يعرفها المزارعون في جميع الأنحاء اللبنانية.

الكلاب ـ ماتوا جوعاً لأنهم لم يجدوا ما يأكلونه حتى البلوط(1) وحتى الجيف المتعفنة النتنة، فقد سبقتهم إليها حيوانات البرية وتفشى الطاعون.

التهم التي الصقت بصادق وموقفه منها

في هذا الجو المتردي ازداد نشاط صادق حمزة وبدا عبر نشاطه الإنساني ثائراً إجتماعياً فقد اتسعت منطقة غزواته ـ اذ غابت الدولة عن المنطقة كلياً ـ وكثر عدد رجاله فأخذ يغير على قوافل تموين الجيش التركي يسلبها ما كانت تحمله مؤونة لفيالق جيشها ثم يوزعها على الفقراء والمعوزين والمساكين المحتاجين.. ولم يكتف بذلك فقد فعل كما كانت تفعل الدولة التركية فداهم البيوت يبحث فيها عن مخابىء الحبوب. وكانت معرفته بتلك المخابىء ميسرة له أكثر من الدولة.. فهو ابن الضيعة.. عاش في كنفها.. وتعرف على مخابئها.

وكان يوزع على المحتاجين كل ما تصل إليه يده وتحول المحتاجون في كل قرية عيوناً لصادق يراقبون كبار الفلاحين ويرشدون صادق إلى الأماكن الجديدة التي اعتمدوها. فيصادر صادق ما يجد. كما إنه كان يفرض على اغنياء المنطقة الجزية والخوّة.. ثم يعمد إلى جمع ذلك عن طريق القوة والعُنف ولكنه باعتراف الجميع وتواتر الروايات كان يوزع ما تطاله يداه.. فهو لم يطلب مالاً لنفسه ولم يكن دنيا.. وهو ـ كما قدمت ـ عاش ومات ولم يتملك بيتاً خاصاً به..

(1) البلوط ثمر السنديان.

لعل تربيته البيتية ـ بيت شيخ القرية ـ جعلت منه إنساناً يحب الناس الضعفاء وينصرهم تقرباً إلى الله. ولعمري إن عمله هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على روح طيبة وأصالة محتد ونفس كريمة لا يمكن ان تجتمع في ذات لص أو سارق.

ولهذا رأيت فيه إنساناً سوياً ـ رغم جهله وهو الأمّي ـ ولهذا عارضتُ واعارض متهميه؛ ذلك لأنني اعرف انه لم يستطع هو ان يجتمع إلى الناس كلهم يحدثهم.. يشرح لهم ما كان يعتلج في نفسه.. فهو الطارد أبداً ـ ومنذ حداثة سنه ـ والمنطقة في ذلك الحين كانت غارقة في بحر من الأكاذيب والإشاعات المغرضة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس..

مع العلم ان احداً قبلي لم يتقرب من هذا الإنسان ويحاول الإستماع إليه ولو من خلال حكايا الناس كما ان أحداً لم يحاول أن يستمع إلى صادق ووجهة نظره كما استمعت فيخرج بفكرة صادقة معبرة عن حقيقة إنسان ظلمه الناس كما أظن ـ ردحاً طويلاً من الزمن.

حقيقة صادق حمزة الفاعور

لم يكن صادق حمزة الفاعور من أصحاب الفكر وبالتالي لم يكن قادراً على قراءة النبأ المنشور أو تحليل الخبر المتداول. كما إنه لم يكن يستطيع أن يميز بين إشاعة مدسوسة مغرضة أو حقيقة تتطلب إصلاحاً. فهو من الناس البسطاء الذين قضوا طفولتهم في قرية صغيرة فقيرة شبه معزولة عن العالم الخارجي.. ففي صباه رعى الماشية وعندما أصبح فتى تحوّل إلى فرار فعاش في المغاور والكهوف.

إن إنساناً من هذا النوع لم يدخل مدرسة ولم تثقفه العِشْرَة الصالحة

يكون صيداً سهلاً لحرب شائعات تشن عليه. ولذلك فقد صدّق كثيراً من المزاعم واثرت في نفسه وتصرف على أساسها حيناً. ومن هنا كانت هفواته ولأجلها وصمت حركته بالطائفية واللصوصية وغير ذلك.

ولكن المعطيات التي بين يدي تشير إلى أنّ صادق حمزة الفاعور لم يكن ـ خاصة بعد ان دخلت الدعوة العربية إلى عامل والتحق بها ـ رجلاً طائفياً. وإنما كان ذا حس عربي مرهف كسائر أبناء جبل عامل الذين كانوا ولا يزالون يكرهون الظلم ولا يرضون عن الإستقلال بديلاً.

وعندما انقسم الناس في قرى عامل ـ بعد حرب الشائعات ـ إلى فرنسي وعربي كان صادق مع الفريق الثاني. ويؤكد هذه الرؤيا ويدعمها نماذج كثيرة من أعماله ومواقفه، اذ أنها تشير بوضوح إلى أن حركته ليست طائفية ابداً ولم تكن كذلك يوماً وإنما هي حركة سياسية لذلك كان على اتباعه ان يحاربوا الأتباع الفرنسيين واتباعهم من اللبنانيين مهما كان انتماء هؤلاء الطائفي..

في هذا الجو المضغوط عاطفياً. عملت فرنسا على تصفية رجال الحركة الوطنية نهائياً. وقد منعها من القيام بهذا العمل مباشرة شبح التنافس البريطاني ـ الفرنسي على اقتسام المنطقة سيما وإن مبدأ الإنتداب لم يقر بعد في عصبة الأمم. ولذا فإن فرنسا كانت تشعر ان قضت بنفسها على الحركات الوطنية ان يتحول اللبنانيون بأجمعهم إلى عصاة يهبون لقتالها وهذا ما كانت تتجنب الوقوع فيه في ذلك الوقت.

ومن أجل ذلك أوكلت هذا الأمر إلى أعوانها وموظفيها فنشطوا يحرضون اهالي القرى المسيحية في جنوبي عامل لمناوءة الشيعيين.

وقد حقق هذا النشاط غايته فتضاعف الشعور الطائفي المقيت عند الناس واستطاع ايضاً ان يبدل مواقف بعض زعماء المناطق فتحولوا وبسرعة من انصار الملك فيصل ملك سورية إلى أنصار الجنرال غورو الفرنسي وعلى سبيل المثال فإن الأمير محمود الفاعور امير عرب الفضل وسيد منطقة الجولان في ذلك الوقت والذي كان من أشد انصار الملك فيصل ومن اقوى الثائرين تحت رايته اصبح بفضل هذه الإشاعات يعمل بإمرة الفرنسيين. ومن أجل توكيد هذا زاره الجنرال غورو بنفسه[١].

(١) سلام الراسي: عن لئلا تضيع مؤسسة نوفل بيروت بتصرف ص ٩٤ وما يلي.

الفصل الخامس

اعمال صادق حمزة الفاعور في لبنان

تمهيد :

انتهت السنوات العجاف، ووضعت الحرب أوزارها وأصبح الفرنسيون منتدبين من قبل عصبة الأمم في لبنان، فبدأوا عملية استطلاع واسعة فرأوا ان صادق حمزة وجماعته يشكلون قوة في منطقة صور لا يستهان بها وتمنوا لو أن صادق يقف إلى جانبهم فيساعدهم بموقفه هذا إن حصل كثيراً على تهدئة الأمور وتنظيمها ومن ثم لم يعد هنالك من سبب يدفعهم إلى استعمال العنف لا سيما في بداية عهد جديد على العاملين. .

ومن أجل ذلك جرت بين صادق وبين مندوبي الفرنسيين من اعوانهم اللبنانيين مفاوضات تخللتها عروض مغرية قدمت له . . ولكنه رفض كل شكل من أشكال التعاون مع الفرنسيين لأنه كان يرى منهم أعداء له إذ كان يومها مرتبطاً مع نسيبه الملك فيصل ملك الشام بواسطة مبعوثي الاخير وكان من المؤكد انه كان على اتصال وثيق بالأمير عبد الله أمير الأردن يشير إلى ذلك ويؤكده ما كان يتلقاه من الأخوين من مساعدات عسكرية ودعم مادي كان يرد إليه عن طريق بانياس -

الجولان. وهذا الإلتزام والتشبث بالمواقف كانا من أهم الصفات التي كان يتحلى بها صادق حمزة وهي كانت ولا تزال حتى اليوم من أهم صفات العامليين عامة.

يؤكد هذا الرأي ويدعمه ان صادق حمزة كان يعيش بأمان بغير على القوات الفرنسية وينكل بهم طيلة فترة بقائه في جبل عامل.. ولم يجرؤ على هذا الجبل.

اما الفرنسيون الذين ساءهم تصرف السلطات العسكرية والموظفين السياسيين في دمشق. إذ استطاع هذا التصرف أن يخلق جواً معادياً لهم. فقد اتخذوا إجراءات فورية من شأنها أن تعزز مركزهم العسكري في جبل عامل بحيث كانت تلك الاجراءات تحول دون وصول الإمدادات إلى الثوار.

ورغم كل ذلك فإنهم وجدوا أن لا فائدة من مهادنة صادق حمزة لذلك صمموا على القضاء عليه وعلى أعوانه بشتى الوسائل.. فجردوا للقبض عليه حملات متتالية. ودارت بينه وبين جنود تلك الحملات معارك عديدة شكلت مجتمعة ما اسميته اعمال صادق حمزة في لبنان.

نماذج من أعمال صادق في لبنان

يستطيع المراقب الباحث وهو يتتبع أعمال صادق العسكرية في لبنان ان يلاحظ ان هذه الأعمال كانت تسير على خطين:

الأول: ضد القوات الفرنسية مباشرة وقد اتخذت هذه الأعمال صفة معارك.

الثاني: ضد العامليين الذين كانوا بنظر صادق فرنسيين ايضاً.. اذ ان صادق وزع العامليين كلهم إلى عربي وفرنسي.. (أي مؤيد للعرب او مؤيد لفرنسا).

وقد اتخذت هذه الأعمال صفة الإغارة والغزو لأنها قلما اصطدمت بمقاومة عنيفة اعاقت سيرها وتنظيمها. مع العلم أن عمل صادق العسكري هذا لم يتخذ ابداً شكل الجبهات التي تشكلها الجيوش النظامية.. إنما كان يغلب على تصرفاته طابع المقاومة الشعبية السرية التي تعمل مبدأ اضرب واهرب.. لأن صادق وافراد عصابته لا عهد لهم مطلقاً بما يعرف في التاريخ العسكري برسم الخطة.. وطريقة التنفيذ وما إلى ذلك مما تستدعيه اعمال الحرب.. وهذا النوع من المجابهة كان يؤدي إلى إلحاق اضرار فادحة بالجيش النظامي الفرنسي.

صادق والقوات الفرنسية

أ - معركة جسر القعقعية:

قبل ان يُقَرّ الإنتداب على لبنان - وإنما كان تواجد الجيش الفرنسي في الجنوب قائماً - وفي شهر كانون الثاني عام ١٩٢٠ م كان صادق حمزة ورفاقه يغسلون ثيابهم ويغتسلون في مياه نهر الليطاني عند جسر القعقعية، (وهو جسر يقوم فوق مجرى نهر الليطاني ويفصل بين بلدتي قرون - قضاء مرجعيون - والقعقعية قضاء النبطية. وتعرف الثانية باسم قعقعية الجسر).

وفيما هم منهمكون إذ بإمرأة تقبل مسرعة نحو الجسر وتنادي بصوت

عال لاهثة.. أين صادق الحمزة.. فجيء بها إليه فاعلمته انها سمعت الناس يتحدثون إن الفرنسيين جادين في طلبه وأنهم على علم بمكان وجوده قرب الجسر واضافت انها شاهدت بأم العين ان عملية تطويق المكان من قبل الجنود الفرنسيين قد بدأت فعلاً..

تحرك صادق حمزة بسرعة.. وصاح برفاقه إن استعدوا واختبؤا خلف الصخور معلناً لهم ان طوقاً من الجنود الفرنسيين يحيط بهم.. فداخل بعضهم الخوف وهموا بالهرب لأنهم يعرفون ان الحملة الفرنسية لا بد وان تكون كثيرة العدد والعتاد وأنها تعرف من فنون الحرب ما لا عهد لهم به.

ولكن صادق لم يمهل احداً من المتقاعسين إذ صرخ بهم بأعلى صوته.. من يحاول الهرب طلباً للنجاة من الفرنسيين وإن استطاع ذلك فإنه لن ينجو ابداً من رصاص صادق... وهو الرامي البارع كما تعرفون. وكان كل جنوده يعرفون صدق وعوده ومدى احترامه لكل كلمة. ومهارته في التصويب.. لذلك إمتثلوا لأوامره وزايلهم الخوف من القوة الفرنسية اذ اصابهم خوف مؤكد اعظم وادهى صادر عن صادق الذي يعرفهم ويعرفونه.

لذلك اتخذوا مواقعهم خلف الصخور الكبيرة واخذوا يراقبون وصول القوة المطاردة.

وفجأة لمح صادق مجموعة جنود تطل من خلف أكمة تبحث عنه وعن رفاقه فما كان منه إلا أن عاجل المتقدم منهم بطلقة اردته قتيلاً وسمع أزيز الرصاص يعلو من كل ناحية تردد صداه جنبات الأودية. ويبالغ بعض الرواة وهم يتحدثون عن تلك المعركة.. إن صادق حمزة

اطلق النار على جندي فرنسي يحمل رشاشاً فأصابت رصاصته فوهة الرشاش.. (طبعاً هذا أمر صعب ولكن له دلالة واضحة.. تشير إلى مهارة صادق في الرماية.

كان لهذه الإصابة المباشرة التي اودت بحياة الجندي الفرنسي وقع عظيم في نفوس رفاقه فهزت معنوياتهم - ولعلهم كانوا متطوعين ترامت إلى اسماعهم انباء صادق - فتولاهم الرعب وولوا الادبار مخلفين وراءهم عدداً كبيراً من الأعتدة الحربية وبعض القتلى.. وتمكن صادق ان يقهر هذه الحملة ويحصل منها على عدد كبير من الأسلحة المختلفة التي خلفها الجنود فوق التلال..

والمتتبع لهذه الحادثة يجد في قدوم المرأة لاهثة متعبة وهتافها بهذا الشكل وبحثها عن صادق مدى إيمان الجنوبيين بالحرية وتعشقهم لها. ومدى مشاركة المرأة الجنوبية حتى في الأعمال العسكرية وفي اشدها عنفاً وسيدرك أنها لم تهتم لما قد يلحق بها من ضرر من جراء هذه المشاركة.

وقد اوردت جريدة البشير نبأ هذه المعركة بالشكل التالي:

(ومما يذكر ان هذه العصابات كانت مسلحة بالبنادق الحربية والرشاشات وقد الحقت بها الفرقة (يعني الفرنسية) خسائر فادحة وضربتها ضربات موجعة.. ويسعنا ان نقول أن الفرقة الفرنسية اصيبت بخسائر لم تتجاوز الخمسين بين قتيل وجريح وإنها اضطرت إلى ترك ثلاث مدافع رشاشة في مستنقعات الليطاني)[1].

(١) جريدة البشير عدد ١٣ كانون الثاني ١٩٢٠.

لا يصعب على القارىء ان يتصور ضراوة تلك المعركة فباعتراف جريدة البشير (الصادرة عن الجامعة اليسوعية والناطقة بلسان حال الفرنسيين) تعترف بصراحة أنه أصيب من الفرقة الفرنسية وحدها خمسون جندياً بين قتيل وجريح ثم اعترفت الجريدة أيضاً بأن الحملة الفرنسية تركت وراءها ثلاثة مدافع رشاشة في مستنقعات الليطاني. وهذا الإعتراف الصريح يؤكد فرار الجنود الفرنسيين أمام ضغط الثوار العرب بقيادة صادق حمزة ويثبت مدى جرأتهم ويوضح مدى القدرة العسكرية التي بلغتها فرقة صادق حمزة الفاعور.

ب: الهجوم الأول على مدينة صور:

كانَ صادق حمزة يرى ـ لجهله أو لما شاهده بنفسه من تصرفات أفراد ـ أو لما سمعه مما تناقلته الألسن أن مسيحي صور أعوان الفرنسيين. وكان يرى أيضاً أن أموال الفرنسيين وأموال أعوانهم هي حل له.

وهذا الرأي وهذا الإحساس.. وهذا الموقف.. هذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على بساطة في تفكير صادق ويدل على عدم اتساع افق نظر في الرؤيا.

وكيف لا يكون صادق هكذا وهو الأمي الذي كانت دنياه في الكهوف والمغاور وكان عالمه المحبب إليه قطيع الماشية.. ومن ثم لم يعاشر من هم أعلى منه مستوى. فجميع أفراد عصابته كانوا لا يحسنون قراءة ولا كتابة وكلهم لم يكن لهم عهد بحياة اجتماعية سوية.

من هذا الموقع.. وبكل هذه المعطيات تحرك صادق حمزة الفاعور مع رفاقه نحو مدينة صور فهاجم مواشٍ كانت تابعة لجماعة من سكانها

المسيحيين فاستولى على أكثر الماشية وساقها أمامه إلى عين ماء تسمى عين الراموح[1] (تقع في خراج قرية باريش القريبة من دبعال..

وعلت الصيحة في المنطقة وسرت انباء هذا الهجوم سريان النار في الهشيم.. وتناقلته الألسن بسرعة.. وتحرك اعيان البلاد بسرعة لتخليص هذه المواشي وإعادتها إلى أصحابها.. فعقدوا اجتماعاً اختاروا من بينهم وفداً كان عليه أن يقوم بعملية المفاوضة مع صادق.. وتألف هذا الوفد من:

١ ـ الشيخ حسين مغنية: وهو رجل دين محترم جداً في منطقة صور وهو من قرية طيردبا.

٢ ـ الحاج اسماعيل الخليل: والد الوزير والنائب كاظم الخليل.. وهو من وجهاء صور ومن أصحاب البيوتات المفتوحة في ذلك الحين.

٣ ـ الشيخ سليم كمال.. وهو رجل دين من دبعال ويبدو أنه خلف الشيخ علي حمزة والد صادق بعمل الإرشاد الديني في القرية. وكان صادق يكن له كل احترام وتقدير وكان لا يرد له طلباً.

٤ ـ وضم هذا الوفد الذي كان يمثل وجهة نظر الحركة الوطنية في منطقة صور. والذين كان يحترمهم صادق ويجلهم ـ عدداً آخر من وجهاء المدينة.

انتقل هذا الوفد إلى حيث صادق حمزة إلى عين الراموح.. وبعد أخذ ورد والحاج وعرض للظروف الخاصة والعامة التي كانت تلف المنطقة رضي صادق أن يعيد المواشي كلها سالمة إلى أصحابها.

وقد أوردت جريدة البشير هذا النبأ على الشكل التالي:

(١) ملحق رقم ٦.

(في ٦ أيار ١٩٢٠ بالنسبة (لتاريخ نشر الخبر في جريدة البشير) حشد صادق العصابات المشتتة في القضاء فقضوا الليل في بساتين صور. وفي سبعة منه بينما كان عسكر المتطوعين يستعد للمناورات العسكرية غربي المدينة كما هي عادتهم كل نهار جمعة، هجم الأشقياء من الغرب مع طلوع الشمس وساقوا أمامهم ماشية البلدة تاركين ما يخصّ آل يحيى (أي آل الخليل). فخرج عليهم بعض المتطوعين وشرذمة من الجندرمة فتفرق الأشقياء ودخلوا بستان البقوق حيث تشتغل عيال مسيحية في تربية القز فقتلوا بعضاً وجرحوا البعض الآخر جروحات مميتة ثم لجأوا إلى الجبال والقرى المجاورة بعد أن قطعوا الأسلاك التلغرافية. وقد بلغ عدد القتلى من الأهالي العشرة. يقود هذه الحملة صادق حمزة نفسه وهم مدججون بالأسلحة والقنابل اليدوية)(١).

ثم نشرت الجريدة نفسها بتاريخ ٧ أيار ما يلي:
(وصل إلى مياه صور يوم الجمعة ثلاث مدرعات انزلت زهاء مئة جندي.. وباشروا حالاً بإصلاح اسلاك التلغراف والتليفونات التي كان الأشقياء قطعوها).

لا بد لي وأنا أقرأ هذا النبأ من أن ابدي الملاحظات التالية:
١ ـ الحادثة وقعت دون شك وصادق حمزة الفاعور استطاع يومها ان يسوق أمامه عدداً كبيراً من المواشي..
٢ ـ أن الخبر اعطي للجريدة المذكورة عن طريق مراسلها في المنطقة.. وإن هذا المراسل لا يعرف صوراً ولا يعرف منطقة صور ذلك لأن هذا الخبر.. وبهذا الشكل الذي كتب فيه يؤكد ذلك.. فهو

(١) جريدة البشير عدد ٦ أيار ١٩٢٠.

يقول مثلاً (.. وفي سبعة منه كان عسكر المتطوعين يستعد للمناورات العسكرية غربي المدينة كما هي عادتهم كل نهار جمعة.. وهجم الأشقياء من الغرب).

مع العلم أن البحر الأبيض المتوسط يحد صور من جهاتها الثلاث: الغرب والجنوب والشمال وأن هذه المدينة لا تتصل باليابسة إلا عبر طريق واحدة تكوّن المدخل الوحيد لصور وهي تقع في الجهة الشرقية منها.

وإذا عرفنا أن المتطوعين لم يكونوا يقومون بتدريبات بحرية أي مناورات بحرية ذلك لأنهم كانوا سيرسلون إلى عريش مصر.. أو إلى بلاد اليمن ليقاتلوا في جبالها..

ثم إن الأشقيا.. كيف تسنى لهم مهاجمة المدينة من الغرب وهم لا يملكون سفناً حربية وإن كان ذلك فأين المراكب التي حملتهم إلى الشاطىء ولماذا لم تصادرها القوات الفرنسية.. مع العلم أن الثوار كما تزعم الجريدة لجأوا إلى الجبال فارين..

٣ ـ وإذا كان المهاجمون قد فروا من وجه ملاحقة المتطوعين وشرذمة من الجند.. فكيف استطاعوا وهم يفرون ان يسوقوا امامهم قطيعاً من المواشي.. ثم كيف يكون فرارهم إلى الجبال وبستان البقوق لا يزال قائماً وهو يقع على شاطىء البحر شمال صور.

وهكذا فكثيراً ما كانت تحمل الصحف. ولست الآن بصدد مناقشة ما كانت تنشره من انباء ـ مسؤولية نشر أخبار مراسلين لم يكونوا يعرفون معنى الكتابة بل لم يقدروا مسؤولية أثر الحرف فيلقون كلامهم جزافاً..

اني لا استبعد أن يكون وضع مثل هذا العمل قد تم عن سوء نية وسابق تصميم لأجل تحقيق غايات كانت تهدف إليها سياسة كل صحيفة.

أسألك اللهم أن تعيذني من شر ذلك وأن تثبت اصابعي قبل أن يجري القلم فيرسم حروفاً.. وهب لي يا رب عتق الجمل لأمضغ -بدأ- كل كلمة قبل أن أنطق بها.. وانر بصيرتي لأقرأ السطور وما بينها وما خلفها آمين..

جـ - الهجوم الثاني على مدينة صور:

بعد أن أعيدت المواشي إلى أصحابها سالمة سرت اشاعة - وقد تكون مدسوسة - تقول: إن الفرنسيين جهزوا حملة لملاحقة الثوار واستعادة المواشي منهم بالقوة. لذلك خاف صادق عاقبة هذا الهجوم فأعاد المواشي رغماً عنه لا كرم اخلاق منه.

وإذا عدنا إلى قول جريدة البشير السابق حيث اشار المراسل إلى وصول ثلاث مدرعات انزلت إلى الشاطىء مئة جندي لإصلاح اسلاك التلغراف عرفنا كيف كانت تنطلق تلك الإشاعات وأدركنا مصدرها ولذلك فعندما وصلت تلك الإشاعات إلى سمع صادق حمزة صمم من جديد على أن يقوم بهجوم جديد على المدينة، فرابط بفرقته في ضواحي المدينة وعلى الطرقات المؤدية إليها ينتظر خروج الحملة ليلقنها درساً قاسياً- حسب زعمه -.

وبالفعل نفذ ذلك صادق وجماعته وعرف سكان المدينة بأمر الهجوم فاضطر سكانها المسيحيون إلى إخلاء منازلهم خوفاً وقضوا ليلهم على متن سفنهم الشراعية في عرض البحر ولم يجرؤ أحد على الاقتراب من

الشاطىء أبداً فهذه الطريق وحدها كانت تؤمن لهم الأمان.

إلا أن معركة جديدة لم تقع بين الفريقين وقد أشار أحمد رضا إلى تلك الحادثة في مذكراته فقال: (إنه بينما كان صادق يرابط قرب صور منتظراً خروج الجيش لقتاله.. ولما لم يخرج إليه أحد طلب إليه أحد رجاله أن يدخل هو إلى صور فأبى ذلك معتذراً بأنه جاء لمحاربة القوة الفرنسية لا ليذعر الأهالي الآمنين فإذا دخل البلدة ادخل الذعر إليهم بدخوله)[1] وهذا دليل جديد يؤكد علوّ همة صادق ونبل اخلاقه.

وقد أشارت جريدة البشير إلى ذلك الحادث بقولها:

(استولى الذعر على سكان مدينة صور المسيحيين فغادرها معظمهم على المراكب الشراعية لأن طريق البر إلى عكا وصيدا كانت مقطوعة وبعضهم غادر إلى بيروت ومعظمهم عرّج على مدينة صيدا وآخرون كانت وجهتهم عكا وبور سعيد)[2].

ومن هذا القول الجديد لجريدة البشير يتأكد ما جاء سابقاً من أن مدينة صور لم يكن لها سوى مدخل بري واحد يقع إلى الجهة الشرقية منها وفي هذه الطريق رابط صادق وجماعته فلم يكن هنالك غير طريق البحر أمام المسيحيين الهاربين.

وردت القوات الفرنسية في اليوم الثاني لذلك الحصار بإطلاق نيران مدافعها باتجاه قريتي البازورية والبرج الشمالي القريبتين من صور واللتان تقعان على الطريق التي يمكن أن يكون قد سلكها صادق في هجومه هذا.

---

(١) أحمد رضا العرفان م ٣٣. ص ١١١٤.
(٢) البشير ٨ أيار ١٩٢٠.

ولعلها كانت تقصد من وراء هذا القصف إعادة الطمأنينة إلى نفوس الصوريين المسيحيين وتبديد خوفهم وإظهار استعدادها للدفاع عنهم فهي تقف إلى جانبهم أبداً. ولكن يبدو أنها لم تكن - في ذلك الحين - تحسن تقدير النتائج ولعلها كانت تفعل ذلك عن سابق تصميم وإصرار لتزيد نار الفتنة اشتعالاً.

أدت هذه القذائف إلى تجمع الثوار من جديد ثم أغاروا على القرى المسيحية في المنطقة وفي صور ونشبت بين الطرفين معارك ضارية قتل فيها العديد وأسفرت عن تغلب الثائرين إذ تمكنوا من إحراق الكثير من منازل المسيحيين الذين هربوا من جديد متوجهين إلى عكا عن طريق البحر.. وأصبحت بلاد بشارة كلها تحت رحمة الثائرين.

هذا المصير وهذا الواقع كانت تسعى إليه حكومة فرنسا جاهدة.. لأنها كانت تنقل أخبار هذه الحوادث مجسمة وبإخراج متقن إلى عصبة الأمم لتقر لها مبدأ حق الانتداب - وعندها لن تعجز أبداً عن تأديب الثائرين وذلك عن طريق إلقاء القبض عليهم أو نفيهم خارج حدود منطقتها.

هذه نماذج من خطى صادق حمزة الفاعور في بداية طريقه.. وتعتبر هذه النماذج المرحلة الأولى من أعمال صادق العسكرية.

الأحلاف العسكرية التي عقدها صادق مع الثوار ونتائجها

ومن تتابع الأحداث وتلاحقها أدركت أن صادق حمزة الفاعور كان ينسق أعماله في شبه احلاف عسكرية مع كل من أدهم خنجر ومحمود

احمد بزي. ذاك كان يعمل في منطقة النبطية ويتخذ من قلعة الشقيف ارنون (بوفور) مركزاً له وهذا يعمل في منطقة بنت جبيل في حين ان مركز عمل صادق حمزة كان يكاد منحصراً في منطقة صور فقط.

ونتيجة هذا الحلف الثلاثي اشتد ساعد صادق وتطور فأصبح يمثل قائد الحركة الثورية في جبل عامل.

ومن البديهي أن ينسب عامة الناس الأحداث اليومية إلى رئيس أقوى فرقة ثورية في المنطقة. وقد أشرت سابقاً إلى أن فرقة صادق حمزة كانت بنظر الجميع هي الفرقة الأهم والأقوى.. ومن هذا المنطلق ذاع صيته وانتشرت اخباره.. وعلى هذا الأساس كان صادق مسؤولاً عن كل حادثة تجري في أية منطقة من المناطق الثلاث حتى وإن لم يشارك هو أو أحد من فرقته بها.. ومن هنا تحمل صادق مسؤولية الهجوم على قرية عين إبل عام ١٩٢٠ م مع العلم أنه لم يكن راضياً عنها أبداً وإن هذه الحادثة أدت إلى خصام ابدي مع حليفه السابق محمود أحمد بزي الذي حشر جنوده عند بركة كونين وقام بهجومه ذلك واعتقد ان دافعه الوحيد إلى اتخاذ هذا الموقف مع عدم موافقه صادق عليه.. إن الزعماء الروحانيين والزعماء السياسيين الذين عقدوا مؤتمر الحجير لدراسة أوضاع المنطقة.. وإيجاد حلول جذرية للفوضى الأمنية التي كانت تعيشها القرى العاملية.

وإن هؤلاء المجتمعين استدعوا صادق دون غيره من قادة الفرق العسكرية واعتبروه الممثل الوحيد للجناح الثالث الا وهو الجناح العسكري. فزرعت هذه الدعوة حقداً على المؤتمرين في نفس محمود بزي

فقرر ان يقوم بهذا الهجوم الشنيع تحدياً لمقررات المؤتمر. . وكان هذا الهجوم سبب فراق أبدي بين حليفي الأمس صادق ومحمود حيث لم يلتقيا بعده أبداً.

ومنذ ذلك الحين اغفل الناس حديثهم عن محمود بزي ولم يأتوا على ذكره فيما تتابعت بعدها الأحداث والمعارك.

ولا اجدني مضطراً لسرد جميع ما يروي الناس من قصص او ما حملت الصحف من أخبار وحسبي هذا القدر - لا سيما وإنها كانت كلها متشابهة من حيث الأداء ومختلفة من حيث المكان والتفاصيل.

وقد اخترت نماذج نشرت لأثبتها على سبيل المثال وتؤكد لما قدمت لها من وصف:

نماذج مما نشرته الصحف من أخبار هذه الفرقة

أ - نشرت جريدة البشير على صفحاتها تقول:

(حوادث هذا القضاء (وتعني قضاء صور) المنكود الحظ لا تنحصر في أعمال السلب والنهب والقتل التي تجريها عصابة من اللصوص من نحو من خمسة أشهر إلى اليوم والتي لم تزل تمرح وتسرح بدون ممانع ولا معارض ونحن نورد أهمها:

١ - في ١٠ نيسان نزل الأشقياء بقرية جويا فنهبوا ما نهبوا وقتلوا عرفات جشي ومحمد علي الكريدي وأخذوا بعض بنادق فرنسية كانت

الحكومة اعطتها للأهالي وانصرفوا.

تعليق حول ما نشرته جريدة البشير في ١٠ نيسان ١٩٢٠

يقول المتقدمون في السن في بلدة جويا بعد ان قابلت الكثيرين منهم أن الذي قُتل مع عرفات جشي في ١٠ نيسان هو من آل الجردلي وليس محمد علي الكريدي. وإن هذا الجردلي كان يعمل طبيباً عربياً يداوي المرضى بطريقة المقاطعة (الأجر المقطوع) وإنه كان يقيم في بلدة معركة. ويذكر هؤلاء الشيوخ إن هذا الطبيب قد اتفق مع عبد الحسن سرور من جنود صادق على مداواة مريض يخصّه فقبض الأجر المتفق عليه ولكن المريض توفي. . فالتقاه عبد الحسن سرور في ذلك اليوم في جويا فقتله بطعنة خنجر. .

أما مقتل عرفات جشي فيعود إلى سبب اعتبره صادق حمزة مهيناً له هكذا يقول الرواة. وتفصيل ذلك أن جماعة صادق كانوا قد أغاروا على بيوت مواطنين من جويا كانوا بنظره اعواناً للفرنسيين - ويبدو من حديث جريدة البشير أن بعض الأهالي في جويا كانوا قد تسلموا من فرنسا عدداً من الأسلحة - وعندما دخل صادق جويا طالب هؤلاء بوجوب تسليم كل ما كانت قد اودعته الدولة الفرنسية بحوزتهم. ولم يكتف أعوان صادق بهذا القدر بل اخرجوا من تلك البيوت متاعاً كثيرة وجمعوا كل ذلك في ساحة الجامع الفوقاني.

وكان عرفات جشي من هذا الفريق المعادي للثورة أي فرنسي التبعية. لذلك أصاب منزله ما أصاب منازل الآخرين من رفاقه.

وقبل أن تحمل المتاع. . جاءت زوجة عرفات جشي إلى صادق تشكو

له فقرها وعوزها وادعت ان جنوده سلبوها اغراض البيت وهي امرأة لا دخل لها بالسياسة. فقال لها صادق.. هل تعرفين أغراضك قالت له نعم.. فأرسلها مع أحد أعوانه لتبحث عن حاجاتها بين كومة المتاع.. فاختارت حاجاتها ثم أعادتها إلى منزلها وانصرف صادق وجماعته ومعهم متاع الآخرين.

وجاء زوجها عرفات الذي كان فاراً عند دخول حملة صادق على جويا وعرف أن جنود صادق دخلوا بيته كما دخلوا بيوت آخرين من رفاقه.. فأخذ يشيع إن صادق سرق من بيته خمسون ليرة ذهبا وإنه سيجبره على إعادتها متى التقاه.

وراجت تلك الإشاعات وكان صادق يومها في الأردن.. فوصلته إشاعات عرفات فصمم على أن يثأر لكرامته - وقرر قتل عرفات الذي أنكر الجميل على رغم أنه قرنسي المبول.

ومن أجل هذا عاد صادق إلى جويا مسرعاً لمقابلة عرفات متحدياً. وامر مرافقيه ان يطلقوا النار على كل رجل يصافحه. وكان من عادة صادق أن لا يصافح أحداً فهو يرفع يديه عند إلقاء التحية ويتابع سيره.

وهكذا كان - ووصل صادق إلى ساحة جويا فوجد عرفات هناك فسلم عليه وصافحه فعاجله مرافقه بإطلاق النار عليه وارداه قتيلاً ثم تابع سيره إلى سوق البلدة - ويبدو أن الحادث كان يوم سبت لأن في هذا اليوم من كل أسبوع تعمر سوق في بلدة جويا يفد إليه أبناء القرى المجاورة لشراء أو بيع حاجياتهم.

وفي تلك الساحة المزدحمة بالناس التقى عبد المحسن سرور بالطبيب الجردلي وقتله.

٢ - في ١١ نيسان: قتلوا يعقوب عيد من علما في المحل المعروف بالبياضة ورموا جثته في البحر.

٣ - في ١٢ نيسان: اتوا قرية البازورية على مسافة ساعة من صور (تبعد عن صور حوالي العشرة كيلو مترات) وفرضوا على أهلها مئة ليرة اخذوهم منهم ثم أتوا قرية عين بعال ففرضوا على أهلها مائتي ليرة قبضوها أيضاً.

٤ - في ١٣ نيسان: اخذوا جملين من قرية النفاخيّة (هي قرية مسيحية في قضاء صور) واتلفوا حقولاً كبيرة مزروعة فولاً تخص المسيحيين. فأتى المتاولة المجاورون وأجهزوا على ما بقي منها.

٥ - في ١٣ نيسان: نزلوا على قرية المنصورة وأخذوا من بيت الحاج علي مديجلي ثمانية رؤوس بقر ودابة ثم نهبوا من الرمّالة على بعد نصف ساعة من صور وسط النهار وعلى قارعة الطريق أربعة واربعين رأساً من الماعز.

٦ - في ١٣ نيسان أيضاً: في أوائل هذا الشهر سُلِبَ بعض المسيحيين في سوق بنت جبيل)[1].

وجاء في مذكرات الشيخ أحمد رضا على صفحات مجلة العرفان ما نصه:

١ - الخميس ١٩ شباط ١٩٢٠.

(هاجمت عصابة قرية جويا أمس الأربعاء فنهبت بعض الدكاكين

---

(١) جريدة البشير ٢٩ نيسان ١٩٢٠.

وساقت بعض المواشي وإن الخبر بلغ كامل بك فاستنجد بالعسكر الفرنسي فقطعوا الطريق على المهاجمين عند عين صبور في أرض الحولة[1].

٢ - السبت ٢٢ شباط ١٩٢٠: صح الخبر عن حادث يوم الخميس وهو أن العسكر خرج لقطع الطريق على العصابة التي هاجمت جويا وأشرفوا على الخالصة فرأوا قسماً من العرب مجتمعين فأطلقوا النار عليهم[2].

ثم نشرت جريدة البشير:

١ - (منعت صادق الحمزة وجماعته بعض أهالي دير دغيا (وهي قرية مسيحية في قضاء صور) من حليشة مزروعاتهم بداعي أن اراضي دير دغيا اصبحت ملك الدولة العربية تحت تصرف صادق بك إبن الحيل[3].

٢ - أخذت عصابة صادق وجماعات الأشقياء من القرى الشيعية المجاورة لقريتي دير دغيا والنفاخيَّة المسيحيتين يحصدون مزروعات المسيحيين ولا يردعهم رادع[4].

فإذا تتبعنا أقوال جريدة البشير - التي كانت تصدر بإشراف جامعة القديس يوسف - نجد إنها كانت تبذر سموم التفرقة بين أبناء الطائفتين الشيعية والمسيحية في جبل عامل. ويجد الملاحق لأخبار هذه الجريدة أنها

---

(١) مذكرات احمد رضا: العرفان م٣٣. ج ٣ ص ٤٧١.
(٢) مذكرات احمد رضا (المرجع السابق) العرفان م ٣٣ ج ٣ ص ٤٧٠.
(٣) جريدة البشير عدد ٢٠ نيسان ١٩٢٠.
(٤) جريدة البشير عدد ٥ أيار ١٩٢٠.

لم تتحدث مرة واحدة وبصدق عما كان يجري في تلك المنطقة العاملية لم تتحدث أبداً عن هجمات عبد الحوراني وإبراهيم فرنسيس اللتين انشأتهما الدولة الفرنسية وأمدتهما بالسلاح والعتاد وروّعوا السكان الآمنين كما إنها لم تذكر إن الفرنسيين قدموا لأهالي عين إبل كميات كبيرة من الأسلحة بحجة الدفاع عن أنفسهم ضد ابناء الشيعة جيرانهم..

لم تتحدث تلك الجريدة عن كل ذلك وإنما جعلت اخبارها وقفاً على ملاحقة ما يصيب المسيحيين من أذى على أيدي الفرق العسكرية الشيعية كما أنها حصرت اخبارها كلها بملاحقة فرقة صادق حمزة فنسبت إليه كل عمل مشين وإن لم يكن هو مرتكبه وإنما كان ذلك من تصوير خيال مراسل كذوب.

هذا غيض من فيض من أخبار صادق حمزة الفاعور وهو يمثل الجانب السلبي من أعماله اما الجانب الإيجابي منها فقد اختلف كلياً ويبدو ذلك جلياً وواضحاً أثناء الحديث عن مواقف صادق وطريقة تصرفاته في الإجتماعات العامة.

فقد وجدت في ما أورده السيد عدنان أيوب ما يدعم هذا الرأي ويؤيده:

(خرج عبد الغني الدح مع اثنين من الجندرمة إلى تبنين لتحصيل أموال الحكومة الفرنسية فقابلهم صادق وقبض على الخيل والمال والدفتر، فأخذ الخيل لنفسه أما المال فقد وزعه على كل من كان جمع منه طبقاً لما هو مذكور في الدفتر وتهدد الأهلين بالويل إذا ما عادوا إلى دفع الدراهم للحكومة الفرنسية. وقد برر صادق عمله هذا بأنه لا يعترف

بشرعية الحكومة الفرنسية ولذا يجب أن لا تستوفي الضرائب. أما الإستيلاء على الخيل فلأنها تخص الحكومة التي يحاربها[1]».

موقف الدولة الفرنسية من هذه الأعمال

عالجت الدولة الفرنسية هذه الوضع الأمني في منطقة صور على صعيدين:

الأول: صعيد عسكري:

فقد ساء فرنسا ان تصل حالة الأمن في عامل إلى ما هي عليه، وكان قد استقر بها المقام نسبياً فجردت الحملات العسكرية المتتالية لمطاردة صادق وجماعته. وكان صادق يفر من وجه هذه الحملات كلما اخرج إلى ارض فلسطين حيث يستعيد انفاسه ثم يعاود هجماته من جديد. وقد ورد في جريدة البشير حول هذا الأمر ما نصه:

(بناء على الأحداث الجارية في قضاء صور عمد فخامه القوميسار العالي إلى إرسال تجريدة إلى تلك المنطقة لإعادة النظام إلى نصابه وللقيام بتبديد عصابة الأشقياء فيها. وهذه التجريدة برأسها الليوتنان كولونيل نيجر المندوب الإداري للمنطقة العربية وقد باشرت بالهجوم على صور فولت العصابة الادبار بعد ان قتل ستة من رجالها[2]).

وكانت حملة نيجر على الجنوب ثأراً لما أصاب بلدة عين إبل يوم نفذ محمود بزي هجومه عليها.

---

(1) عدنان أيوب: مقال نشر في الحرية عدد ٨٤٥ ص ٩٥.
(2) جريدة البشير عدد ٢٥ أيار ص ٣.

وورد في مجلة العرفان حول نفس الموضوع ما نصه: (إن مدير ناحية بنت جبيل جهز حملة من أربعين رجلاً من أهالي الناحية للقبض على صادق حمزة واخيه اللذين دخلا أرض المالكية وكان ذلك يوم الإثنين الفائت ولكن هذه الحملة رجعت خائبة[1]).

الصعيد الثاني: وكان صعيداً مشتركاً: سياسياً وعسكرياً

لقد ارتأت الحكومة الفرنسية ان تؤلف حرساً وطنياً في البلاد يقوم بأمر حماية القرى والدفاع عنها من أجل ذلك دعت إلى عقد إجتماع في قرية (هورا) قضاء مرجعيون لدراسة هذا الأمر وإقراره. والحسها اختارت هورا عن عمد. فهي بعيدة عن منطقة صور التي كانت تحت سيطرة الثوار في ذلك الحين وهي تخشى تعطيل هذا الإجتماع إذ دعت إلى عقده في إحدة قرى منطقة صور مع العلم أن احداث هذه المنطقة بالذات كانت بحاجة إلى إيجاد حلول لها.. ومن أجلها سيكون إجتماع هورا.. وإنما خوف السلطات الفرنسية من قيام صادق وجماعته بهجوم مفاجىء على المجتمعين قد يعرض حياة المجتمعين أو القادمين للخطر.

وقد تحدثت مجلة العرفان عن ذلك الإجتماع فقال:

الخميس ١٥ نيسان ١٩٢٠ عقد اجتماع في مزرعة هورا - مرجعيون - وحضره حاكم صيدا العسكري المسيو شاربانتية. وأسفر الإجتماع ان يعين حرساً وطنياً من المتطوعين عددهم /٢٠٠/ مايتان. يعطى كل واحد منهم /١٠/ عشرة ليرات راتباً شهرياً بقيادة قائد

---

(1) مذكرات أحمد رضا: العرفان م ٣٥ ج ٧ ص ١٠٢٨.

فرنسي. ويعين لهم مراكز في البلاد لحفظ الأمن. وإذا حصل على البلاد مهاجمة شرقية فالحكومة هي الكفيلة بردها[١]. (يعني الحكومة الفرنسية).

موقف أعيان البلاد من هذه الأعمال

من المؤسف ان اهالي البلاد لم يهبوا لتدارس حالة الأمن في جبل عامل إلا بعد ان بلغ السيل الزبى وبعد أن شعروا بأن كراسيهم بدأت تهتز تحتهم.. فتنادوا عندها إلى عقد مؤتمرات وألفوا وفوداً ووقعوا عرائض محاولين من خلال ذلك كله وبواسطتها احتواء الأوضاع وتخليص البلاد من الفوضى. ومن ثم المحافظة على ما تبقى لدى الناس المتزرعين في قراهم يهدهم الذعر والخوف والترقب وتقتلهم الوحشة.

أ ـ المؤتمرات: من المؤتمرات التي عقدها كان مؤتمر الحجير الأنف الذكر. ولا يعنيني الآن أن أتابع تفاصيله بقدر ما يهمني ان أثبت هذه الفقرة مما أوردته مجلة العرفان وهي تتحدث وتوضح دور الجميع كما إنها تساعد على كشف ناحية إيجابية في علم صادق حمزة الفاعور.

(... تذاكر المؤتمر بأمر الامن في البلاد فتقرر بالإجماع العناية التامة لضبط الأمن في سائر انحاء هذا الجبل لجميع أبنائه من مسلمين ومسيحيين واستدعي الشيخ صادق الحمزة فدخل السرادق حيث انعقدت جلسة المؤتمر يحف به رجاله شاهرين بنادقهم حوله. فجلس أمام العلماء والقرآن بين ايديهم فأخذوا عليه وعلى رجاله الإيمان المغلّظة

(١) مذكرات احمد رضا: العرفان م ٣٣. ج ٨ ص ٨٥٧ ـ ٥٨.

ان لا يتعرض لاحد من المواطنين من أبناء جبل عامل مسلمين كانوا أو مسيحيين بسوء أو أذية فأقسم على ذلك إلا أنه استثنى من هذا اليمين من كان منه إلباً (عوناً) للفرنسيين على الوطن واستقلاله مجاهراً بذلك مع الغاصبين المحتلين مسلماً كان أو مسيحياً أو من أي مذهب كان. لأن جهادنا سياسي لا ديني)[١].

وتوالت الأحداث واذ بهؤلاء الأعيان الذين اجتمعوا بالأمس يوفدون عنهم اليوم مندوبين إلى بيروت ومعهم عرائض مرفوعة إلى الجنرال غورو يطلبون منه رفعها إلى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس ويطلبون فيها ايضاً الحاق جبل عامل إلى دولة لبنان.

وقد وجدت الشيخ أحمد رضا يعلق على ذلك بقوله:

(والغريب أن الذين وقعوا هاتين العريضتين كان بعضهم بالأمس القريب يوقع على عكسها ويوفدها بواسطة الأمير فيصل إلى مؤتمر السلام)[٢].

هذا التناقض في المواقف فرضته الأحداث التي توالت على جبل عامل. فمع اشتداد ضغط الثوار كان اعيان البلاد يركبون حصان الثوار يسابقونهم.. ومع الخسارة يعمدون إلى تذكير السلطة الفرنسية بأنهم كانوا ولا يزالون على علاقة وطيدة معها منذ زمن.

وقد تحدثت جريدة البشير تصف مقدم وفد عاملي فقالت:

(قدم الثغر وفد عاملي مؤلف من ٥٣ ذات من وجوه وعلماء جبل عامل تحت رئاسة كامل بك الأسعد واستأذنوا لمقابلة القائد العام

(١) مذكرات أحمد رضا العرفان م ٣٣ ج ٨ ص ٢٥٧.
(٢) مذكرات أحمد رضا: العرفان م ٣٣ ج ٨ ص ٢٥٨.

الجنرال غورو فأذن لهم واستقبلهم وقد تكلم في حضرته السيد عبد الحسين شرف الدين فذكر للقائد العام ميله إلى الدولة الإفرنسية وأطرا ما امتازت به هذه الدولة من العدالة والحرية وما لها من الفضل على الإنسانية إلى غير ذلك)[1].

وإذا عدنا إلى تتبع الأحداث ومراجعة أيامها لوجدنا أن كامل بك الأسعد كان رئيس مؤتمر الحجير ويمثل الجناح السياسي فيه. وإن السيد عبد الحسين شرف الدين كان يمثل الجناح الديني في ذلك المؤتمر.. وإن هذان الممثلان الرئيسيان وقعا عريضة وأوفداها إلى الملك فيصل تحمل إليه التهنئة بالملك وتعلن تأييدهما لقيام الحكومة العربية في دمشق.

وهكذا يتوضح التناقض الذي اشرت إليه سابقاً وتبدو لعبته تغيير الكراسي جلية وقد رسم السيد عبد الحسين محمود الأمين هذه المؤتمرات والاجتماعات بقوله:

أرى العلماء والزعماء طراً قد اجتمعا لما لا خير فيه
كلا الأخوين (ضرّاط) ولكن شهاب الدين (أضرط) من أخيه

ب - اجتماع النبطية:

ارادت فرنسا ان تشارك اعيان البلاد حملتهم في سبيل تهدئة الأحوال لأن هذا الموضوع كان شاغلها الوحيد في تلك الفترة ويبدو أنها أوعزت إلى حاكم صيدا العسكري تعلمه ان الجنرال غورو سيشارك في تلك الحملة بنفسه.. فعلى الحاكم العسكري ان يدعو اعيان البلاد والموالين

(١) جريدة البشير العدد ٧ شباط ١٩٢٠.

إلى عقد اجتماع عام يعقد في بلدة النبطية.

وقد تحدث الشيخ أحمد رضا (وهو ابن النبطية) عن ذلك الإجتماع باسهاب لذلك فإني سأثبت نص ذلك الحديث:

(يوم الأربعاء ٢٥ شباط ١٩٢٠ ورد يوم الإثنين امر من حاكم صيدا العسكري بأن تستعد النبطية وما حولها لاستقبال الجنرال غورو يوم الأربعاء الساعة التاسعة صباحاً.

فنشر مدير النبطية الأمر وأبلغه إلى مختاري القرى بطريقة رسمية واخذوا تواقيعهم بالتبليغ. ولما كان يوم الأربعاء اجتمع الجند الفرنسي وكان عدده حوالي المئة مشاة وسبعة وثلاثين فارساً اجتمعوا بقيادة ضابطهم في ساحة سوق الخضرة ولم يأت من القرى المجاورة احد، حتى من أهل النبطية لم يحضر سوى جماعة لا يزيد عددهم على بضعة عشر رجلاً من الوجهاء.

وحضر الإجتماع كامل بك الأسعد من الطيبة (قضاء مرجعيون) وحسين بك الدرويش من جباع والحاج محمد سعيد بزي من بنت جبيل والسيد عبد الحسين محمود الأمين من أعيان بلاد بشارة. ولما ازفت الساعة التاسعة جاءت سيارة الجنرال ومشى الوجهاء بجانبه إلى دار محمود بك الفضل حيث استقبله الشيخ عبد الحسين صادق والشيخ احمد رضا ومحمد جابر آل صفا.

ثم يتابع الكاتب يقول:

تكلم الجنرال غورو بما يلي: ان أهل هذا البلد أهل زراعة ولا شك أن غارات الأشقياء تضر بزراعتهم فعليهم ان يتعاونوا لدفع شر هذه

العصابات حتى لا يستغلها الثائرون وأن المنطقة ذات سوق أسبوعية فوجود العصابات تضر بها أيضاً وإن مع العصابات قوم من الشيعة. فأجابه كامل بك الأسعد: إن حفظ الأمن ودفع الغارات من أهم واجبات أبناء هذا الجبل وهذا الخُلُق متمكن منهم وإن وجود بضعة أشخاص مع العصابات ليس معناه ان البلاد مشتركة معهم.

عندها استدعى الجنرال كامل بك إلى جانبه وسأله عن حوادث العصابات فقال له كامل بك: إن عمل العصابات غير محصور بالمسيحيين بل يتعدى ذلك إلى غيرهم من المسلمين.. فهذه جويا كلها من المسلمين قد نهبوها)[1].

ملاحظة: حول وضع جويا السياسي في تلك الفترة

إن سكان جويا البلدة التي تحدث عنها كامل بك الأسعد هي كانت كغيرها من بلدات عامل تتوزع سكانها خلافات سياسية محلية أصبحت مع الأيام تفرزهم عائلات وشيعاً.. وادى ذلك من قبل تلك الأحداث ومن بعدها إلى نشوب معارك ضارية بين أنصار هذا السياسي وأنصار ذاك.

وفي زحمة هذه الأحداث العاملية التي تعدت حدودها حدود القرية. استمر هذا الخلاف القديم بوزع العائلات عرباً وفرنسيين بناء على ميولهم.

---

(١) مذكرات أحمد رضا العرفان م ٣٣ ج ٣ ص ١٧٢ - ٧٣.

أ ـ سليم زيدان نصير كامل بك (فرنسي):

كان أنصار كامل بك في بلدة جويا بزعامة المدعو سليم زيدان وهو من وجهاء البلدة بل المنطقة يتمتع بذكاء وحنكة. وكان ولاؤه لكامل بك الأسعد لا حدود له.. وقد روى لي ولده صبحي الذي ورث زعامة أبيه.. أن والده نوع أعماله السياسية بفرض صلح بعد عداء نشب بين كامل بك والجنرال غورو ذلك بعد فرار الأول إلى منطقة الحولة ـ وكان هذا الفريق فريقاً فرنسياً بنظر الثائرين) أما الفريق الثاني (الفريق العربي) فقد كان بزعامة وجيه آخر يدعى السيد يوسف طاهر وقد أدت هذه الإنقسامات التي لم يكن لها جذور عميقة أو أسس متينة لرسخها إلى نتائج مهمة جداً هكذا روى لي المعمرون بالسن.. أما تلك النتائج.. فهي:

أ ـ بالنسبة للسيد سليم زيدان:

فرض صادق حمزة عليه غرامة ـ وهذه عادته ـ مبلغ مائة ليرة ذهباً ذلك لأن سليم زيدان كان يعمل لمصلحة كامل بك الأسعد الذي كان يعمل ويتعاون مع الفرنسيين. وقبل سليم زيدان ذلك ولكنه استمهل صادق زمناً ريثما يجمع له المبلغ فرضي صادق ورحل إلى الأردن.

ودارت أحاديث مؤداها أن سليم زيدان لن يدفع لصادق مليماً ذلك لأن صادق أصبح طريداً في الأردن ومن ثم فهو لن يجرؤ على العودة إلى لبنان.. إلى ما هنالك من أقوال كلها تحمل تحدي... ووصلت أنباء هذه الإشاعات إلى صادق. فقدم على جناح السرعة وداهم منزل سليم زيدان يريد الإنتقام منه فأسرع السيد يوسف طاهر بصحبة وفد من أنصاره ومنعوا صادق من إلحاق الأذى بسليم زيدان وأغلظوا اليمين أن

سليم لم يقل ما نقل إليه ـ مع العلم أنهم كانوا يكذبون ـ فصدق صادق ما ادعاه أصحابه. لكنه أصر على قبض المبلغ فوراً. ويتابع المحدثون أن السيد يوسف طاهر دفع من جيبه مبلغ خمسين ليرة ذهباً. وجمع أنصار سليم زيدان خمسين وتسلم صادق المبلغ ورجع من حيث أتى.

٢ ـ يوسف طاهر نصير الثوار (عربي):

هذه الإنقسامات جعلت خصوم السيد يوسف طاهر يحرضون الدولة الفرنسية عليه ويرشدون قواتها إلى مكان تواجده ساعة وصول التجريدة بطلبه. فألقي القبض عليه وسيق مغلول اليدين إلى مكان يدعى وادي جيلو وهي قرية صغيرة تقع على طريق صور وهناك وتحت شجرة جميز قديمة العهد نفذ بالسيد يوسف طاهر حكم الإعدام الذي كان قد صدر بحقه فدخلت تلك الشجرة نافذة التاريخ العاملي لأنها شهدت تنفيذ حكم جائر قضى بإعدام إنسان دافع ولو بالكلمة الحسنة عن كرامة وطنه.

ومن سوء طالع هذا الإنسان أعني يوسف طاهر أن حامل الفرمان القاضي ببراءته ويأمر بالإفراج عنه تأخر وصوله إلى ما بعد تنفيذ الحكم فيه.

وبعد السيد يوسف طاهر هاجمت عصابة ليلاً منزل أخيه محي الدين طاهر وقتله وفر الجناة.

وهذه أمثلة مما كان يجري في القرى العاملية. وهكذا كان وضع الناس العامليين في ذلك الحين مشتتي الميول. موزعين شيعاً فهذه لزيد وتلك لعمر وبسبب هذا الخلاف كانت المعارك تنشب بين أتباع الفريقين سريعاً ولأتفه الأسباب.

تعليق على ما جاء في مذكرات الشيخ أحمد رضا حول اجتماع النبطية

كلما قرأت ما كتبه الشيخ أحمد رضا عن إجتماع النبطية يزحمني سؤالان:

الأول: لماذا لم يحضر أهالي القرى هذا الإجتماع مع أن الدعوة كانت رسمية وعامة وإنها أبلغت إلى مخاتير القرى بطريقة رسمية بعد أن أخذت تواقيعهم إثباتاً لذلك التبليغ.

الثاني: لماذا لم يخرج أهل النبطية لاستقبال الجنرال بأجمعهم مع العلم أن النبطية بالذات حددت لتكون مكان الإجتماع وأن عدد سكان النبطية في ذلك كان يتجاوز العشرين ألفاً في حين أن الكاتب[1] يؤكد أن عدد الذين حضروا الإجتماع من أهالي النبطية لا يزيد عن بضعة عشر رجلاً كان من بينهم ومن لم يؤيد يوماً الفرنسيين لا قولاً أو عملاً.

وبعد بحث وتمحيص استطعت أن أتوصل إلى الجواب التالي أرجو أن يكون هو الحقيقة التي أبحث عنها أو على الأقل أن يكون قريباً منها: وحسبي أنني حاولت فاجتهدت فكسبت أجراً واحداً على الأقل[2]. وما توصلت إليه يفيد: أن النبطية ومنطقتها والطرقات المؤدية إليها كلها كانت تحت سيطرة الثوار في ذلك الحين ولم تكن فرنسا قد رسخت

(١) صاحب الكلمات هو الشيخ أحمد رضا من مواليد وسكان النبطية وكاتب تاريخها ـ ومن الذين لم يقفوا أبداً مع الفرنسيين مع العلم أنه حضر الاجتماع.

(٢) تيمناً بالحديث النبوي ذي القولة: من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد رواه أبو هريرة.

لقيامها بعد على تلك النواحي لذلك فعندما تحدد مكان وزمان عقد الإجتماع قبل إنعقاده فلا أستبعد أن يكون الثائرون قد لعبوا دوراً هاماً في تعطيله. فعدم إقبال الناس على مكان الإجتماع ـ والناس بطبعهم يحبون أن يشهدوا مثل هذا التجمع ولو من باب المعرفة و (الفرجة) على الأقل ـ إن لم يكن تأييداً للثوار في ذلك الحين فإنه كان خوفاً من شرهم بعد عودة الجنرال إلى صيدا ويعزز ذلك عندي أن الأمن كان مفقوداً وأن سيطرة الدولة الفرنسية على البلاد كانت شكلية.

إجتماع صيدا:

يبدو أن إجتماع النبطية ـ وقد انعقد في شهر شباط ـ لم يعط ثماره فتداعى زعماء الطائفتين المسيحية والشيعية لعقد إجتماع موسع على أن يحدد مكانه هذه المرة في صيدا فهي بعيدة عن سيطرة الثوار فأعد له وتألفت الوفود وعقد إجتماع حافل في شهر حزيران من ذلك العام عام ١٩٢٠. وقد تحدث عنه الشيخ أحمد رضا أيضاً بالتفصيل وهو يسجل مذكراته فذكر أسماء الوفود وسرد ما حدث أثناء الإجتماع. ولا أجد مانعاً من ذكر ما أورده الشيخ حرفياً زيادة في الإيضاح والتأكيد فأجنب بذلك قارئي عناء البحث والتنقيب والمراجعة.

قال الشيخ أحمد رضا:

(الإثنين ١٤ حزيران. كثر الحديث بين زعماء الشيعة والمسيحيين الذين كانوا يومئذ في صيدا بقصد اجتماع شعبي أهلي من الطائفتين، يكون فيه مندوب من الحكومة ومندوب من بطريرك الموارنة وقد استحسن علماء الشيعة هذا الأمر وذهب فريق مؤلف من الحاج إسماعيل الخليل ويوسف بك الزين وفضل بك الفضل والسيد عبد

الحسين محمود الأمين وأحمد رضا إلى القائمقام ليسألوا من الحكومة عقد إجتماع يوم الثلاثاء ١٥ حزيران وحضر المتصرف ساعتئذ واستحسن ذلك وفي أثناء وجودنا في دار الحكومة جاءت برقية من قائد الدرك في النبطية تخبر الحكومة أن العصابات الثائرة ملكت جسر الخردلة ـ وهو جسر يقع على نهر الليطاني ويفصل بين منطقتي مرجعيون والنبطية تشرف عليه قلعة الشقيف أرنون ـ بوفور ـ.

وأن عصابة صادق حمزة مرابطة في علمان على جسر القعقعية ـ حول التعريف به ـ وعددها /٣٠٠/ وعصابة أدهم خنجر وشبيب العبد الله احتلّت قلعة الشقيف وعددها /٦٥٠/ وأن محمد بك الناصر ومعه /٤٠٠/ محارب في قرية عديسة.

وبعد ذلك ذهب وفد من الموجودين إلى النبطية لينصح الثائرين بالإقلاع عن أعمالهم. ورأى الوفد أن يكتب إلى محمد بك الناصر كتاباً(١) وإلى صادق حمزة كتاباً وآخر إلى أدهم خنجر وشبيب كذلك.

وبقي الوفد ينتظر الجواب من زعماء الثورة. وكانت انتشرت الأخبار بهجوم على دير ميماس وقتلوا منها رجالاً واحرقوا بعض البيوت وأن قرية الخربة منطقة مرجعيون ـ تضطرم فيها النار وأن الجديدة هوجمت والمعركة فيها شديدة.

وعند العصر عقد اجتماع في النبطية في النادي الحسيني وقرّ الرأي على إرسال برقيات من الوفد إلى الشام لتتولى مع الثائرين عن هذه

---

(١) الملحق رقم ٢.
(٢) الملحق رقم ٣.

الثورة لأن الجبهة الشرقية هي المنشطة لهذه الثورة.

وبالحال كتبت البرقيات إلى الملك فيصل وإلى رئيس المؤتمر السوري ورئيس وزراء الشام وخلاصة ما فيها: إن ما يؤلف في الجبهة الشرقية من العصابات بات خراب البلاد وقتل النفوس ونهب الأموال فنطلب التثبت بمنع ذلك»[1].

هذا ما كان يدور في الفلك السياسي.

هل أثر ذلك في نفسية صادق وهل بدا ذلك الأثر على تصرفاته.. ثم اخيراً لا آخراً، كيف كان رجع تصرفات صادق تلك على تصرفات الدولة الفرنسية.

ضريبة صادق:

بعد تلك الأحداث بدأ إعجاب صادق بنفسه فعيّن من قبله جباة يجمعون الخراج من القرى مقابل إيصالات صادرة عنه، وكثيراً ما اضطرت الدولة ـ فيما بعد ـ أن تعترف بها وتحسم قيمتها من المترتب على المواطنين ـ أظن أن الدولة كانت تبغي من وراء تصرفها هذا أن تحافظ على هدوء المواطنين لا غير. فهي حديثة بالتعامل المباشر معهم ولم تستطع بعد ان تثبت أقدامها وترسخ خطوتها.

وبعد أن تم لها ذلك عقدت العزم على ملاحقة صادق وأمثاله من الثائرين فكثفت تجريداتها المتلاحقة وأرسلتها لتجوب القرى. تفرض على سكانها الغرامات الباهظة أحياناً وتغريهم بالجوائز والهبات المادية

---

(1) مذكرات أحمد رضا: العرفان م ٣٤. ج ٣ ص ٣٥٤ ـ ٥٥.

والمعنوية أحياناً علها بذلك تستطيع أن تكسب تأييد المواطنين فيرشدونها إلى أماكن تواجد صادق وسائر الثوار.

ولما كانت دبعال مسقط رأس صادق فقد تحملت من الفرنسيين الكثير من الظلم والتعسف إذ فرضت عليها الدولة ضريبة أسمتها ضريبة صادق وهي عبارة عن عدد من البواريد (البنادق الحربية) على الأهالي أن يقدموها مرغمين رغم إمكانياتهم المادية الضعيفة وخلال فترة زمنية محدودة، وإذا تلكأ الأهالي أو تقاعسوا نزل بهم غضب الدولة فعسكر الجوالة جاهز أبداً ليحتل البيوت ويعيث فيها فساداً.

وبالإضافة إلى هذا الترهيب عمدت الدولة إلى ترغيب المواطنين وإغرائهم اذ خصصت جائزة ثمينة لمن يرشد إلى مكان صادق أو لمن يأتي به حياً أو ميتاً.

فإذا رجع الباحث بمخيلته إلى الوراء قليلا فوصل إلى وعي استحضار الحالة الإقتصادية لشاهد وبوضوح صورة صحيحة تعبّر عن حالة الناس الإقتصادية في أنحاء جبل عامل.. ولا سيما في قرية صغيرة مثل قرية دبعال. وإذا أدرك بوعيه أن السلاح ـ في ذلك الحين كان اقتناؤه ممنوعا ـ وأن حمله كان وقفاً على أحد ثلاثة: ثائر أو عسكري أو نصير دولة.

فإذا تمكن الباحث من استرجاع هذه الصورة كلها امكنه ساعتئذ أن يدرك أو يتصور فداحة ضريبة صادق.

حملة نيجر وخروج صادق من لبنان

تسارعت الأحداث وتلاحقت ـ ويبدو أن الدولة الفرنسية قد

إطمأنت وقتها على مكاسبها في لبنان وسورية ـ لذلك عقدت العزم على توطيد الأمن في أنحاء البلاد بعد أن عجلت زمناً وبكل طاقاتها على زرع بذور الفتنة وتوزيع السلاح على أعوانها من المواطنين العامليين.. وبعد أن انشأت في كثير من القرى المسيحية فرق الأنصار وقد دعتهم متطوعين وجعلت لكل منهم راتباً شهرياً.. بعد هذا كله.. عزمت امرها على توطيد الأمن والإستقرار في البلاد وتظاهرت بحماية النصارى الموزعين في جبل عامل معتذرة أنها اهملت ذلك ـ مضطرة ـ ردحاً من الزمن.

والحقيقة أنها هي التي كانت توقع بين أبناء الطوائف العامليين فجعلت منهم خصوم اليوم بعد أن كانوا أصدقاء الأمس. فعلت كل ذلك في سبيل تحقيق مكسب سياسي تحققه عبر عصبة الأمم. الا وهو إقرار حق انتدابها على كل من سورية ولبنان.

ومن هذا الواقع وفي سبيل تحقيق ذلك جهزت فرنسا حملة عسكرية بقيادة المندوب الإداري للمنطقة العربية الكولونيل نيجر وكان قوامها أربعة آلاف جندي.

فقدمت تلك الحملة إلى جنوب عامل متخذة طريق تقدمها طريق النبطية فجسر القعقعية فدخلت القرى وروّعت الأهلين وجرى قتل الناس على الظن والشبهة وأطلقت يد أعوانها يقتلون أبناء الطائفة الشيعية انتقاماً لضحايا قرية عين إبل وسمحت لهم بحمل ما يشاؤون من متاع يجدونه في المنازل تعويضاً عما خسروه.

ولم تكتف الحملة الفرنسية بهذا القدر من الأذى الذي لحق بالعامليين الشيعة بل إنها عمدت إلى فرض ضريبة باهظة على أبناء هذه

الطائفة وحدهم في جبل عامل زاعمة أنها تريد من وراء هذه الضريبة إصلاح ما هدمه الثوار من جسور وأبنية وتخريب طرقات وانها بالإضافة إلى هذا فهي تريد أن تعوض على أهالي قرية عين ابل الأبرياء بدل خسائرهم وثمن قتلاهم دون أن تلتفت طبعاً إلى فداحة الخسائر التي حلت بأبناء الطائفة الشيعية نتيجة هذه الحملة.

وكان الشيعيون العامليون لا طاقة لهم على تحمل هذا الأذى كله. وأمام ضراوة هذه الحملة التجأ الكثيرون منهم إلى فلسطين طمعاً بالنجاة تاركين وراءهم كل ما جنوه طوال عمرهم المديد...

وبعد ذلك بقليل بدأت تتلاحق على صفحات الصحف نشرات تحمل أسماء المحكوم عليهم بالإعدام أو النفي أو مصادرة الأملاك من أبناء الطائفة الشيعية. وقد عثرت على واحدة منها أوردها الشيخ أحمد رضا جاء فيها؛

(نشرت جريدة لسان الحال في عددها الصادر في ١٧ آب ١٩٢٠ لمراسلها الدمشقي بتاريخ ١٣ آب ما نصه:

أرسل اليكم القائمة الثانية المحتوية على أسماء المحكومين بالإعدام والنفي من المتاولة المحكوم عليهم بالنفي ومصادرة املاكهم: كامل بك الأسعد، عبد اللطيف بك الأسعد ـ مراد غلميّة ـ حسن يوسف ـ نصر الله الصعبي ـ الحاج محمد سعيد بزي ـ السيد عبد الحسين شرف الدين السيد عبد الحسين نور الدين ـ صادق الحمزة ـ محمود أحمد بزي ـ رياض حسن فرحات ـ عبد المجيد محمد بزي ـ محمد فرح سليمان ـ موسى بوزقلي (ابو زلكي). الشيخ عبد الله عز الدين ـ محمود فرح ـ سليمان طرفة ـ الحاج فياض شرارة ـ الحاج محمد سويدان ـ أدهم بك

خنجر - علي حرب - محمود أحمد قاسم - عبد الحسن سرور - محمد بك الثامر - لمر بلوز - السيد يوسف طاهر - يعقوب قرعوني - حسن علي محمود - محمد قاسم طعّان السيد خليل - رشيد السيد خليل - حسن سلمان طاجة - شبيب عبد الله - لطفي عبد الله - نجيب عبد الله - محمد حرب - كامل يوسف - كامل سرور)[1].

وعندما وصلت الأوضاع العامة العاملية إلى هذه الحال.. فضل صادق حمزة أن يترك البلاد رحمة بأبناء الطائفة حيث لم يعد قادراً على مواصلة الكفاح ويبدو أن تفاهماً قام بين كل من فرنسا وبريطانيا حول إنهاء حالة الفوضى.. فنشطت فرنسا في ملاحقة الثوار وتخلت بريطانيا عن دعمهم وحمايتهم بعد أن يدخلوا أرض فلسطين كما إنها كما أظن منعت عنهم كل أنواع الإمدادات العسكرية.

من أجل هذا كله غادر صادق حمزة الفاعور لبنان ولم يعد.

الفصل السادس

أعمال صادق حمزة خارج لبنان

أ - في الحولة

ب - في الجولان

جـ - في الأردن

أ ـ في الحولة:

في خريف عام عشرين وتسعمائة والفا غادر صادق حمزة الفاعور ومن بقي يلازمه من الرفاق القدامى لبنان وصحبه في تلك الرحلة صديقة الحميم أدهم خنجر وبعض أعوانه.

مرّ الركب بأرض الحولة ـ وكانت تلك المنطقة وعرة المسالك (لكثافة غابات البابير (بابيروس) وكثيرة المستنقعات الناتجة عن فيضان بحيرة الحولة ـ فأقام صادق ورفاقة في ذلك السهل حوالي ستة أشهر لقي خلالها كل حفاوة وتكريم وتحلقت به القبائل العربية ـ ولعل ذلك كان تشجيع حكومة دمشق ـ كما انضم إليه عدد كبير من عرب الغوارنة وعرب الحولة وكان يتزعم هؤلاء المدعو كامل حسين اليوسف.

أ ـ مؤامرة يهود طلحة:

وفي أثناء إقامة صادق في الحولة تعرض لمؤامرة خطيرة دبرها يهود مزرعة طلحة للقضاء عليه.

وقد تحدث الشيخ أحمد رضا عن تلك المؤامرة فقال:

(روى لنا بعض الدركيين الذين شهدوا حادثة مزرعة طلحة

الصهيونية بما يأتي: إن جماعة من عرب الحولة ومن ثوار جبل عامل كانوا في عين صبور . فدعاهم يهود طلحة إلى الغداء فأجابوا الدعوة ولما دخلوا القرية وباشر اليهود تقديم الطعام أغلقوا أبواب المزرعة وأحس المدعوون بالشر وهجمت إمرأة يهودية على السيد كامل حسين اليوسف زعيم عرب الحولة وهي تحمل بندقية حربية فابتدرها كامل بطعنة ارداها وعطف على شريكها في الهجوم وهو يهودي أيضاً فأرداه. وأخذ السيد صادق الحمزة زعيم الثائرين العامليين بإطلاق الرصاص. فهجم العرب الذين كانوا خارج المزرعة ونشبت معركة قتل فيها من العرب عشرون ومن اليهود ستة وأسرع العسكر الفرنسي المرابط في مرجعيون لنصرة اليهود فظهر على الفرنسيين كمين للعرب فتراجع العسكر واليهود واحتل الثائرون المطلة واضرموا النار فيها بعد أن احرقوا مزرعة طلحة(1).

ب ـ في الجولان:

لم تطل إقامة صادق حمزة في الحولة بعد تلك المؤامرة بل تابع طريقه إلى دمشق وهناك رحب به الملك فيصل وأكرمه وعيّنه مسؤولاً عن منطقة بانياس. فقدم صادق إليها واختار بلدة زعورة مقراً له. ومن هذا المقر كان يعرف أحوال المنطقة كلها..

وعندما تم إعلان الاستقلال السوري ونودي بالأمير فيصل الأول ابن الحسين بن علي شريف مكة ملكاً على سورية استدعى الملك صادق حمزة وطلب إليه توزيع المناشير ورفع الأعلام العربية في قرى عامل. فدخل صادق لبنان من ناحية هونين فاستقبله الناس بالبشرى

(1) أحمد رضا: مذكراته العرفان م ٣٣ ج ٦ ص ٦١٨ ـ ٦١٩.

والزغاريد وكان لتلك الأنباء التي حملها وقع عظيم في نفوس العامليين لا سيما وأنهم أصبحوا يشعرون بعداء نحو الحكومة الفرنسية.

وقد أشار إلى ذلك الشيخ أحمد رضا بقوله:

(الخميس ١١ آذار ١٩٢٠ شاع اليوم أن صادق الحمزة من قادة الثورة أتى قرية عديسة (قضاء مرجعيون) ورفع عليها العلم السوري ثم فعل ذلك أيضاً ببلدة بليدة بعد أن مرّ بالنبطية ومعه /١٥٠/ رجلاً بين راكب وراجل).

ولكن لم يطل فرح العامليين بهذه البشرى وبقيام الحكومة الشريفية في دمشق فقد بددت معركة ميسلون كل أحلامهم ودخل الفرنسيون دمشق محتلين فتحول ذلك الفرح إلى غضب يضج في نفوس الناس. وتشكلت فرق عسكرية تناهض الإحتلال وتقاومه وكان من أبرز قادتها في دمشق: أحمد مُرَيْوِد، فيما كان سلطان باشا الأطرش في جبل العرب يترقب الأحوال ويعد بني قومه لليوم الحاسم.

محاولة إغتيال الجنرال غورو

بقيت عداوة الفرنسيين تلاحق صادق حتى وهو بعيد عن لبنان وقد ساءه أن تحول نسيبه محمود الفاعور زعيم منطقة الجولان والمقيم في القنيطرة ـ من ثائر يعمل بإمرة الملك فيصل ضد الفرنسيين إلى جندي مخلص يعمل في صفوفهم وتحت إشراف جنودهم.

ومكافأة لموقف محمود هذا قرر الجنرال غورو أن يزوره في مقره في

القنيطرة.. وشاع خبر هذه الزيارة المرتقبة وعرف صادق وأعوانه بأمرها. فاجتمع صادق مع رفيقه أدهم وتشاوروا ووضعا خطة مشتركة تهدف لإغتيال الجنرال وهو في طريقة لتأدية تلك الزيارة.

ونفذت الخطة يوم ٢٣ حزيران عام ١٩٢١ ولكن الجنرال نجا من الموت بإعجوبة رغم إصابته ولكن في كم يده التي بترت أثناء معركة في الحرب الكونية الأولى. في حين أنه قتل امين سره القومندان برانييه واصيب بعض مرافقيه منهم: حقي العظم رئيس دولة سورية في ذلك الحين.

وقد أشار سليم الراسي إلى تلك الحادثة بقوله تحت عنوان: محاولة إغتيال غورو في طريقه لزيارة محمود الفاعور في القنيطرة.

(أصيب الجنرال غورو بكم ذراعه المبتورة والتي كان قد خسرها في إحدى معارك الحرب الكونية الأولى. وقتل امين سره القومندان برانييه واصيب مرافقه حقي بك العظم رئيس دولة سورية في ذلك الحين برصاصة في فخذه وأخرى في ذراعة وثالثة في شفته كان ذلك يوم ٢٣ حزيران ١٩٢١)[١].

وفاء صادق لأدهم خنجر

بعد فشل محاولة اغتيال الجنرال غورو نشطت الدولة الفرنسية تلاحق الصديقين. وقرر أدهم خنجر تلبية دعوة كان قد تلقاها من قبل لزيارة بلدة القريّة» مقر سلطان باشا الأطرش، فأبلغ أدهم رفيقه

(١) سلام الراسي: لئلا نضيع. مؤسسة نوفل بيروت الجزء الأول ص ٩٦.

صادق عن عزمه هذا.. ثم ودعه ورحل.

وفي أثناء الطريق التقته تجريدة فرنسية يبدو أنها كانت تبحث عنه.. ففاجأته وألقت القبض عليه وساقته مخفوراً إلى بلدة درعا السورية - حيث كانت تقوم قيادة المنطقة العسكرية - لينقل من هناك إلى بيروت بواسطة قطار حديدي.

وصلت كل هذه الأنباء إلى صادق بسرعة فهب هو مسرعاً لنجدة صديقه الحميم بعد أن عقد العزم على بذل كل جهد ممكن لتخليص رفيقه ومهما كانت التضحيات. لذلك سار صادق مع مجموعة من رفاقه وسار باتجاه أقرب مكان - بالنسبة لموقعه في ذلك الحين - حيث سيمر منه القطار فكمن مع رجاله حول ذلك المكان بعد أن أحسن توزيع جنوده وبعد أن خلع قضبان الحديد.

وصل القطار يحمل أدهم خنجر وفوجيء بالقضبان مخلعة فاضطر إلى التوقف والمعاينة وفاجأ صادق وأصحابه رجال الحامية التي كانت ترافق أدهم ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس استطاع صادق في نهايتها أن يعود بصديقه سالماً بعد أن تمكن من إحراق خمس عربات كانت تؤلف القاطرة. ولاذ الجنود المكلفون بسوق أدهم بالفرار[١].

مع العلم أن بعض الرواة ينسبون هذه الحادثة إلى سلطان باشا الأطرش والله أعلم..

(١(سلام الراسي: لئلا نضيع٨ مؤسسة نوفل بيروت ج ١ ص ٩٦.

نهاية أدهم خنجر:

لم تثن هذه الحادثة عزم أدهم عن زيارة السلطان في بلدته (القريّة) فعاود محاولة الوصول إليه مرة أخرى. وفعلاً دخل (القريّة) ودخل مضافة السلطان الأطرش وكان هذا قد خرج من البلدة لقضاء مهمة خاصة ويبدو أن أحداً من أعوان الفرنسيين أو من الذين كانوا يكرهون السلطان، شاهد أدهم وهو في طريقه إلى المضافة فوشى به إلى القوات الفرنسية، فحضرت تجريدة على جناح السرعة وطوّقت تلك المضافة وأخرجت أدهم منها وساقته ثانية إلى درعا حيث ثم نقله هذه المرة بطائرة عسكرية إلى بيروت فحوكم شكلياً ونفذ فيه حكم بالإعدام رمياً بالرصاص في ساحة العدلية حيث كانت تقوم السراي القديمة.

وقد أكد لي رفيق لأدهم وصادق أنه شهد إعدام أدهم في بيروت. وهذا الرفيق يدعى العبد رقه من بلدة الشهابية.

ومن غريب الصدف أن هذا الإنسان وقد تجاوز الثمانين كان يوم التقيته في منزله في بلدة الشهابية لا يزال يتمتع بذاكرة واعية جداً. فهو يحدثك وكأن كل شيء ماثل أمام عينيه يرسمه بأدق تفاصيله.

واعترف أنه حدثني عن صادق حمزة بإسهاب فعرفني بكثير من صفاته التي ذكرت وبالعديد من الأعمال التي قام بها - ومن غرائب الأمور أن زوجته التي كانت تجلس في غرفة مجاورة لغرفة الإستقبال حيث نحن علا صوتها وهي تزجره وتأمره بعدم الإدلاء لي بأية معلومات إذ اعتبرتني من رجال الأمن العام وتصورت أنني جئت لاستدرج زوجها للإعتراف بما فعله يوم كان مع صادق حمزة وبعدها فإنني سألقي القبض عليه وأسوقه لأقدمه إلى المحاكمة من جديد.

وصدّق هذا الرجل زعم زوجته فامتنع عن الحديث ثم أنكر كل صلة له بما قاله لي منذ دقائق. ومع ذلك فإنني لم امتنع عن إثبات كل ما سمعت لأنني لاحظت أن هذا الإنسان كان - وهو يحدثني - صادقاً في كل كلمة نطق بها وقد بدا هذا الصدق في بريق عينيه وفي تعابير قسمات وجهه ودعم هذا اليقين عندي طريقته في الجواب وكأنه يراجع شريطاً حياً استودعه ذاكرته.

وهكذا كان.. فقد صمت الرجل وانقطع بصمته دفق معلومات قد تكون تحمل الكثير مما يساعد على إلقاء الضوء على كثير من الأمور التي لا أزال أجهلها.. ولعلها ستبقى وإلى الأبد في ذاكرة هذا الإنسان[1].

ومن هنا ندرك ان الجهل - جهل الرجل وجهل المرأة لعبا دوراً بارزاً في إخفاء حقائق عاملية - وبمثل هذه الطريقة ضاعت أخبار عاملية كثيرة من قبل وستضيع من بعد - عن عمد أو عن غير عمد.

وهكذا سيقف هذا الجهل المميت المطبق عقبة كؤودة في وجه الباحثين العامليين لا سيما أولئك الذين أخذوا على عاتقهم إعادة كتابة هذا التاريخ العاملي بعد أن افتقر في أثناء كتابته إلى كثير من التروي والتمحيص والتدقيق والتجرد عند الكتابة. ولأن كتابة التاريخ لا يمكن أن تكون وقفاً على فرد أو فئة وإنما هي حركة دائمة التجدد ما دام العقل الإنساني يبقى نيراً أبداً ويستطيع أن يكتشف كل يوم نحواً جديداً.

كانت حادثة اختطاف أدهم خنجر من مضافة سلطان باشا

---

(١) مقابلة شخصية مع الحاج عبد رقه جرت في منزله في بلدة الشهابية في ١٨/٦/١٩٧٨.

الأطرش بمثابة الشعرة التي قصمت ظهر البعير إلا أن السلطان أعلن ثورته المشهورة التي كان يعد لها على الفرنسيين.

لما صادق فقد غادر الجولان بعدها إلى الأردن.

في الأردن:

يبدو أن دولاب صادق حمزة بدأ يدور عكسياً.. فقد خسر أصحابه الواحد تلو الآخر وحلمه في تحقيق دولة عربية في دمشق بددته معركة ميسلون، والفرنسيون الذين كانوا يفرون منه بالأمس يعدمون رفيقه اليوم ويلاحقونه هو في كل مكان.

من أجل ذلك كله عزم صادق حمزة أن يرحل إلى الأردن.. وليفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

انتقل صادق من بانياس - الجولان - إلى الأردن فاستقبله الأمير عبد الله - أمير البلاد - بالترحاب وعينه قائداً لمنطقة اربد كما عين أخاه مصطفى وكيل أخراج.

وعظم صادق بنظر الأمير عبد الله لما أبداه من ولاء له ولأخيه الملك فيصل طوال حقبة زمنية طويلة شهدت تقلباً في مواقف رجال الدين ورجال السياسة.

ومن أجل هذا الولاء قرب الأمير صادقاً منه وجعله يده اليمنى التي لن ينجو من عقابها خارج على القانون في ذلك الحين ولن يفلت منها فار من وجه العدالة.

١ - القضاء على كليب صاحب تبة(١):

ومرت الأيام.. وجاءت جماعة من الأعراب تشكو إلى الأمير وكليباه.. وكليب هذا كردي من قرية (تبه) كان يعتدي على الناس ويروع الآمنين. وكان مغروراً بقوته البدنية لا يعرف النظام ولا يحترم القانون.

استدعى الأمير عبد الله صادقاً وأوكل إليه أمر تأديب كليب هذا والعمل على الحد من نشاطه على الأقل أن لم يستطع احضاره إليه مقيداً.

فجهز صادق حملة من رجاله الخلّص الذين وصلوا بصحبته إلى الأردن وأغار بهم على مضارب كليب فأحرقها ولم يستطع كليب الإفلات والنجاة. فاقتاده صادق أسيراً مقيداً ذليلاً إلى ديوان الأمير لينال عقابه وبهذا العمل العظيم - ازدادت مكانة صادق عند الأمير ومنذ ذلك الحين منحه الناس لقب بك فأصبح يعرف باسم صادق بك حمزة.

بعد هذا نصب صادق صيوانأً في بلدة اربد وأصبح يستقبل فيه الناس يستمع إلى شكاويهم.. وكان في أغلب الأحيان يجد لكل منها حلاً دون أن يرجع إلى الأمير.

٢ - استمرار عدائه للفرنسيين:

وبقي خيال صديقه أدهم يلاحقه حتى في مقره الجديد. ومن أجل وفائه له كان صادق يغير على الفرنسيين في درعا بين حين وآخر.. وقد

(١) تبة: إسم قرية يسكنها الأكراد وكان زعيمها كليب.

استطاع في إحدى الغارات أن يأسر زوجة الحاكم الفرنسي وبعد أن عرفها بنفسه أطلق سراحها مع سائقها.

وهذا التصرف لم يكن غريباً عن طبع صادق إنما هو ينسجم مع نبل خلقه واحترامه للمرأة.

حادثة طفس

وكان من عادة صادق حمزة أن يزور بلدة طفس - التي اصبحت تابعة للإنتداب الفرنسي كلما مرّ بالقرب منها ذلك لأن شيخ القرية كان صديقاً قديماً له.

ويبدو أن أخبار هذه المصادفة قد وصلت إلى سمع الفرنسيين - وأن هؤلاء أصبحوا على علم بتكرار هذه الزيارات. وفي سبيل إلقاء القبض على صادق والتخلص منه - مع العلم أنه أصبح في حماية البريطانيين - فإن الفرنسيين فاوضوا شيخ بلدة طفس واغروه ليخون صديقه ولم يستطع ذلك الشيخ أن يصمد أمام هذا الإغراء وصمم أن يكيد بصاحبه فأولم له ولرفاقه ثم أعلم الفرنسيين بموعد تلك الوليمة.

وفي اليوم الموعود.. حضر صادق ورفاقه وطوّق الفرنسيون المكان.. ودارت معركة حامية بين الطرفين اسفرت عن مقتل شيخ طفس.. واستشهاد عبد الحسن سرور - لبناني - ومن الذين رافقوا صادق منذ حركته الثورية. وتمكن صادق أن ينجو مع باقي رفاقه.

بعد هذا لا أجدني مضطراً - كما لا اجد حاجة لسرد نماذج جديدة أخرى. من أعمال صادق. فقد سمعت الكثير ممن قابلتهم أثناء بحثي ولكنني اعتبر أن ما ذكرت من حوادث يكفي لإعطاء القارىء فكرة سعيت إليها واضحة المعالم توضح الكثير من معالم تلك الشخصية العاملية التي تركت همّاً.

الفصل السابع

نهاية صادق

تضاربت الأقوال كثيراً حول الحادثة التي اختفى بسببها صادق حمزة الفاعور مع أن الجميع يؤكدون أن ذلك كان عام ست وعشرين وتسعماية وألف. ومع إنني بذلت جهداً في التحقيق إلا إنني لم أستطع أن أجزم بصحة واحدة فأدعي أنها هي التي تمثل الحقيقة وتؤرخ لنهاية صادق ولعله من المفيد أن أسردها كلها فادع للقارىء أن يستخلص من بينها الحقيقة التي يقتنع بها.

وأرجو أن تسمح لي ظروفي أو ظروف أحد الباحثين غيري بتبيان واثبات ما خفي من هذا الأمر.

١ - الرواية الأولى:

إن المنزلة التي حظي بها صادق حمزة الفاعور عند الأمير عبد الله وتهافت الناس على صيوانه بعثا في نفسه الفخر والزهو والتعالي بحيث أصبح يعتقد أنه هو الذي يثبت حكم الأمير ويدعم وجوده في الأردن فساء هذا الواقع الأمير عبد الله واوعز إلى أصحابه أن يقتلوا صادقاً فيتخلص هو منه. وهكذا كان.

الرواية الثانية:

إن زوجة صادق عبدة علي بزي تآمرت عليه مع جمعة من اكراد تبنة الذين كانوا لا يزالون يحقدون عليه بعد أن أذل زعيمهم كلياً.

وقد استبعد رفاق صادق هذه المقولة ونفوها وأكدوا كلهم أن زوجته عبدة كانت تحبه كثيراً وتفخر به وإنها كانت شديدة الإخلاص له.

٣ ـ الرواية الثالثة:

إن اثنين ـ من سكان بيروت ـ طمعا بالجائزة التي اعلنت عن منحها الدولة الفرنسية لكل من يقتل صادق أو يرشد إلى مكانه ـ فعمدا إلى طريق الحيلة وذهبا متخفيين إلى الأردن يستجيران بصادق حمزة ويدعيان أنهما فاران من وجه فرنسا لأنهما قتلا قنصلها في بيروت. وادعيا أنهما يريدان العمل بخدمة صادق فهو وحده الذي يستطيع حمايتهما.

وانطلت الحيلة على صادق ـ وكان كما اسلفت أمياً.. لا يحسن تقدير الأمور ـ فقبلهما لاجئين وأجارهما على عادة القبائل العربية في ذلك الحين وأصبحا بعد فترة قصيرة يلازمانه في حله وترحاله.

وفي أحد الأيام ذهب صادق إلى نهر الشريعة ليصطاد السمك بعد أن يغتسل كعادته.. وكان برفقته هذان الرجلان. وبعد أن أصبح صادق يلعب في مياه النهر.. أمنا منه غفلة وسهواً فاغتالاه رمياً بالرصاص وهربا. وحملت مياه نهر الأردن جثته التي اختفت ولم يعثر عليها أبداً.

هذه الرواية هي أقرب الثلاثة بنظري من حقيقة نهاية صادق. يؤكد هذا الرأي عندي ما عثرت عليه خلال سطور حكايا سلام الراسي في

مؤلفاته الكاملة ص ٩٦ طبعة ١٩٧٧ حيث يقول:

وقد علمت من شكيب وهاب أحد أقطاب الثورات والحركات المسلحة في لبنان وسورية أن صادق حمزة رفيق أدهم خنجر قتل في ما بعد بواسطة اثنين من رفاقه هما أبو ذياب الكردي وشريف البعلبكي في حوران[1].

وهكذا فإن تفاصيل نهاية صادق بقيت مجهولة يلفها الغموض.

(١) سلام الراسي: المؤلفات الكاملة: مؤسسة نوفل بيروت طبعة ثانية ١٩٧٧ ص ٩٦.

الخاتمة

هذا ما استطعت جمعه من أخبار صادق الشيخ علي حمزة الفاعور وقد اشبعت حكايا الناس عنه تحقيقاً وتمحيصاً فأثبت منها ما وجدته يتناسب مع واقع إنسان اميّ عاش ظروفه وتركت الكثير من الأخبار التي نسبت إليه ولكنها تغرق في الخيال.

ولعله في الإنصاف أن أقول أن هذا الإنسان - كما اتضح لي مما سبق ذكره - لم يكن ثائراً يحمل أفكاراً مسبقة عن الثورة إنه لم يكن صاحب دعوة مثالية لمجتمع يحلم به وإنما وجدته إنساناً يرفض الواقع الذي عاشه سكان جبل عامل خلال حقبة زمنية فاختار لنفسه وفي ظروف صعبة جداً طريقاً وعرة.. ثم عملت الأحداث المتلاحقة في نفسه صقلاً وبلورة فأصبح صادق في نهايتها يحمل مثلاً يعمل في سبيل تحقيقها ويضحي من أجلها.

وقد ظهر لي من سير الأحداث أن صادق حمزة الفاعور كان على اتصال دائم اثناء ثورته بالملك فيصل الأول ملك الشام وبأخيه الأمير عبد الله أمير الأردن والذي أصبح في ما بعد ملكاً. ويقوي هذا الرأي عندي ما لقيه صادق من دعم وتأييد وما تلقاه من معونات مادية

وعسكرية من كلا الأخوين أثناء وجوده في لبنان وعندما نزل ديارهما.

أرجو أن أكون قد وفقت في إنارة تلك الزاوية التي تُرِكَ فيها صادق حمزة إهمالاً طيلة الفترة الزمنية السابقة.. كما إني أرجو أن تكون خطوتي هذه شعلة ولو صغيرة على طريق البحث العلمي تنير دروب اخواني العامليين وترشد خطاهم إلى تلك الحفائر العاملية المليئة بمخزون من التراث التاريخي أو الأزلي.

وإن كان قد فاتني الكثير من أخبار صادق فعذري أنني حاولت وجهدت ولا أدعي الكمال الذي هو لله وحده ولرسوله متمنياً أن يتوصل غيري إلى كشف ما غاب عني عليه بذلك يصحح لي خطأً أو يلفت نظري إلى خباياكثيرة لا تزال مدفونة ولم تصل إليها بعد ضربات معولي.

وحسبي أنني كنت صادقاً فيما سعيت إليه. لا ابتغي منه مكسباً وإنما أقدمه خدمة للعلم واداء لواجب عليّ بذلك أكون قد قمت بما يفرضه عليّ واقعي العلمي.. فكسبت مرضاة ربي. فهو ولي التوفيق.

الملاحق

عدد: ٩

ملحق رقم - ١ -

بيان قيد صادق حمزة الفاعور

حضرة مأمور نفوس صور المحترم.

المستدعي: علي مرتضى الأمين شقراء.

الطلب: أرجو إعطائي بيان قيد صادق حمزة الفاعور من دبعال واقبلوا الإحترام.

١٩٧٨/٢/٢٢

يعاد للمستدعي:

لدى التدقيق في سجل مهاجري دبعال وجد برقم ١٣ سجل المهاجرين:

الإسم: صادق حمزة الفاعور والده علي والدته خديجة حرب تولد سنة ١٨٩٤ أربعة وتسعون. دبعال مسلم شيعي متأهل مهاجر إلى شرقي الأردن سنة ١٩١٩.

١٩٧٨/٢/٢٢ التوقيع

الكاتب	مأمور نفوس صور
محمد عبدين	إبراهيم حلاوي

ملحق رقم - ٢ -

من نص كتاب وفد اجتماع صيدا إلى صادق حمزة:

إن مسعانا بتأمين الفارين من صيدا عارضه شبوب ثورة من جديد وهجوم العصابات على قرى الشقيف. وهذا يؤدي حتماً إلى خراب الوطن ويحول دون السعي في التفاهم بين المسلمين الشيعة والمسيحيين الذين لا يرجع الوطن إلى ما كان عليه من الأمان والراحة إلا باتفاقهما.

ونحن نستحلفهم بالله أن يكفوا فقد لبسنا - الشيعة - ثوب العار بنظر العالم المتمدن.

ملحق رقم - ٣ -

من جواب صادق حمزة للزعماء

إننا كنا سابقاً مقيدين بأوامركم وإنكم طالما أخذتم إصلاح أمر هذه الحكومة على عاتقكم ولما لم يتم ذلك لكم خرجنا عن طاعتكم لأننا رأينا الحكومة مطيعة لأهل الأهواء الذين يريدون ويعملون على إثارة النعرات في جبل عامل حتى أهرقت الدماء وهدمت الجوامع والكنائس والمساكن ورأينا أن الحكومة التركية كانت تفضل المسيحيين علينا في المعاملة وهي دولة مسلمة فكنا نطيعها بذلك حالاً لعملها على المصلحة ولكن الدولة الفرنسية وهي مسيحية كان عليها أن تعمل بالعكس أي أن تفضلنا بالمعاملة لأننا نشكل الأكثرية ولأننا من غير دينها فعليها أن

تستجلبنا بالحسنى. ولكن الفرنسيين واتباعهم من أبناء وطننا يريدون إتلاف هذه الطائفة من جبل عامل.

إن أوامركم يا سادتنا قد تأخرت عن وقتها لأن الحماس والثورة قد عمت أقطار البلاد وليس في مقدورنا وحدنا الوقوف في وجهها وهي مؤلفة من كافة المسلمين من الشيعة والسنة وكلهم يتلهفون على ضياع بلادهم وهدم بيوتهم وهتك اعراضهم ونهب أموالهم وديارهم.

فالآن الطاعة لله ولأوامركم واستجلاباً لرضى الحكومة نقف نحن خاصة ولا نتمكن من إيقاف غيرنا لأن الغيرة الإسلامية عمت أركان البلاد.

ويليها التواقيع

أحمد محمد بعلبكي — حسن علي ندي — مصطفى حمزة

صادق حمزة

ملحق رقم - ٤ -

لائحة بأسماء بعض الذين رافقوا صادق حمزة منذ خروجه على الأتراك وحتى ضياعه في الأردن.

إسم الشخص	إسم القرية
إبراهيم عطية	دبعال
إبراهيم دايخ	جويا
حسن خليل مغنية	طيردبا
خليل سليمان	دبعال
درويش علي دايخ	دبعال
عبد الله فريدو	المجادل
عبد الحسن سرور	كونين
حسين الشيخ	دبعال
علي حرب	تولين
أحمد بعلبكي	تولين
حسن علي ندى	تولين
مصطفى حمزة	دبعال
نعمة عكر	جويا
أحمد سعيدي	جويا
موسى جمعة	المالكية
محمود خليل ذياب	باقلية

عباس راضي	بنت جبيل
شبلي بيضون	طيرزبنا
الحاج عبد رقة	طير زبنا
محمود أحمد قاسم	المجادل

بالإضافة إلى هذه الأسماء رافق صادق حمزة مجموعة أشخاص من أماكن وجنسيات مختلفة بلغ عدد الأشخاص حوالي /٣٠٠/ شخصاً وعلى سبيل المثال اذكر أسماء بعض المدن التي تشير إلى بلاد بعض الجنود الذين التقوا بفرقة صادق منها.

المدينة المنورة ـ نجد ـ عرب القدس ـ شبعا ـ شمالي سورية ـ عرب الحولة ـ عرب الهيث ـ زنوج عددهم ٧.

ملحوظة:

لم يجر ترتيب هذه الأسماء فنياً لأنها لم ترد كلها في النص وإنما اثبتها من باب المثال لا الحصر معتمداً على تواتر الأنباء.

ملحق رقم - ٥ -

لائحة بأسماء الذين زرتهم وسمعت منهم اخبار صادق مع الإشارة إلى إسم البلدة التي ينتمي إليها كل منهم:

إبراهيم عطية	دبعال	
خليل سليمان	دبعال	
عبد الله فريدو	المجادل	
نعمة عكر	جويا	
الحاج عبد رقة	الشهابية	(طيرزبنا)
حبيب صونان	جويا	
محي الدين عرفات جشي	جويا	(والد. عرفات الذي قتله صادق)
صبحي زيدان	جويا	(والده كان سليم زيدان الذي كان على خلاف مع صادق لأنه كان يؤيد كامل بك الأسعد).
عبد الأمير كمال	دبعال	
أحمد كمال	دبعال	
علي يوسف حمزة الفاعور	دبعال	
السيد نور الدين نور الدين	جويا	رجل دين

ملحق رقم - ٦ -

فهرس بأسماء العلم وأسماء الأمكنة الواردة في البحث:

قرى مسيحية		قرى مشتركة	
دردغيا	قضاء صور	صور	مركز قضاء صور
القْاخية	قضاء صور	قانا	قضاء صور
الطويري	قضاء صور	تبنين	قضاء بنت جبيل
عين ابل	قضاء بنت جبيل	برعشيت	قضاء بنت جبيل
رميش	قضاء بنت جبيل	القوزح	قضاء بنت جبيل
علما الشعب	قضاء صور	صفد البطيخ	قضاء بنت جبيل
دبل	قضاء بنت جبيل	يارون	قضاء بنت جبيل
القليعة	قضاء مرجعيون	جديدة مرجعيون	مركز قضاء مرجعيون
دير ميماس	قضاء مرجعيون	النبطية	مركز قضاء النبطية
الخربة	قضاء مرجعيون		

ملحق رقم - ٧ -

أسماء قرى مر ذكرها في البحث

بلاط	قضاء مرجعيون
حاصبيا	مركز قضاء حاصبيا
كوكبا	مركز قضاء حاصبيا
البازورية	مركز قضاء صور
عين بعال	مركز قضاء صور
المنصورة	مركز قضاء صور
جويا	مركز قضاء صور
طير الشعب	مركز قضاء صور
القاسمية	مركز قضاء صور
الرمّالة	من على ساحل البحر
صلحة	من قرى الحولة فلسطين
القنيطرة	عاصمة الجولان
ثنة	قرية أردنية
عقس	قرية أردنية
المطلة	قرية فلسطينية تطل
	على سهل مرجعيون
	باعها آل رزق الله
دبعال	قضاء صور
المجادل	قضاء صور
حبوش	قضاء النبطية
الغندورية	قضاء بنت جبيل
القعقعية	قضاء النبطية

ملحق رقم - ٨ -

لائحة بأسماء أمكنة مرّ ذكرها في البحث

وادي المغاور: بين قرى وادي جيلو عيثيت جويا.

عين بوكسيه: جنوب وادي المغاور.

خان محمد علي: كان نزلاً (فندقاً) على الطريق الساحلية بين صور وصيدا.

جسر الخردلي: يقوم على نهر الليطاني بين منطقتي النبطية ومرجعيون تشرف عليه قلعة الشقيف ارنون.

المصيلح: مكان قرب النبطية تكثر في طريقه تعرجات الطريق.

وادي الحجير: مجرى ماء على طريق الغندورية - القنطرة.

جسر القعقعية: على الليطاني بين قريتي قرون - القعقعية.

عين الراموح: نبع ماء في خراج بلدة باريش.

البقبوق: بستان يقع شمال صور على شاطىء البحر.

عين صبور: نبع في ارض الحولة بالقرب من مزرعة صلحة

ملحق رقم - ٩ -

فهرس بأسماء الأشخصا الوارد ذكرهم في البحث

علي خلقي: ضابط عراقي مدرب الفرق المسلحة في عامل.

أبو زلكي: رئيس عصابة. وهو البأني الأصل وحقيقة أسمه أبو زكلي.

محمود بزي: رئيس عصابة: بنت جبيل.

شبلي بيضون: من طيرزبنا (الشهابية) من رجال صادق.

رشيد الغصبي: رئيس عصابة.

عبد الحوراني: رئيس عصابة.

محمد علي حدرج الهونيني: مسلح مع صادق.

رشيد عطية: رئيس عصابة.

عودة أبي ناية: زعيم عصابة الحويطات.

حسين الشيخ: شقيق صادق كان رئيس عصابة.

عباس راضي: من رجال صادق - مثل الجردلي.

عبد الحسن سرور: من رجال صادق.

عرفات جشي: قتله رجال صادق في ساحة جويا.

عارف بك الحسن: رئيس فرقة.

الحاج اسماعيل افندي يحيى: من وجهاء صور والد النائب والوزير كاظم الخليل.

أسعد بك: وزير داخلية لبنان عام ١٩٢١.

علاء الدين الدروبي: رئيس وزراء سورية ١٩٢١.

احمد رضا: رجل دين من النبطية وعضو في المجمع العربي في دمشق.

عبد الحسين محمود الأمين: رجل دين من شقراء. . وكان مع الوفود أحياناً.

بطرس كرم: من وجهاء الطائفة المسيحية.

رشيد نخلة: من وجهاء الطائفة المسيحية ومن ابناء لبنان.

اسبر شقير: من وجهاء الطائفة المسيحية ومن أعضاء الوفد.

داود غول: من وجهاء الطائفة المسيحية.

نسيب صبرا: من وجهاء الطائفة المسيحية.

طانيوس عبده: رئيس تحرير جريدة لسان الحال.

المراجع

١ - الأمين: محسن: خطط جبل عامل جزء أول طبعة أولى ١٩٦١ مطبعة الإنصاف بيروت.

٢ - الأمين حسن: عصر محمد المحمود والحياة الشعرية في جبل عامل - ١٩٧٤ دار الرائد الإسلامي بيروت.

٣ - انطونيوس: جورج: يقظة العرب ترجمة الدكتورين: ناصر الدين اسد واحسان عباس طبعة ثالثة ١٩٦٩ دار العلم للملايين بيروت.

٤ - جابر آل صفا العاملي: محمد. تاريخ جبل عامل منشورات دار متن اللغة بيروت لم تذكر الطبعة ولا تاريخها.

٥ - الراسي: سلام: لئلا تضيع الجزء الأول مؤسسة نوفل بيروت.

٦ - الراسي سلام: المؤلفات الكاملة طبعة ثانية ١٩٧٧ مؤسسة نوفل بيروت.

٧ - نور الدين زين: نشوء القومية العربية طبعة ثانية ١٩٧٢ دار النهار للنشر - بيروت.

٨ - الزين: علي: مع الأدب العاملي الطبعة الجديدة لم يذكر تاريخ ولا مكان الطباعة.

٩ - الزين: علي: للبحث عن تاريخنا في لبنان طبعة أولى ١٩٧٣ لم

يذكر تاريخ ومكان الطباعة.
١١ ـ ضاهر: مسعود: تاريخ لبنان الإجتماعي ـ طبعة أولى ١٩٧٤ دار الفارابي بيروت.
١٢ ـ العرفان ـ مجلة: مجلد ٣٤ جزء ٣ و ٥.
مجلد ٣٣ جـ ٨ و ٦.
مجلد ٣٥ جـ ٧.
١٣ ـ المشرق مجلة: مجلد ١٨ عدد ١٠ تاريخ ١٩٢٠.
١٤ ـ الحرية مجلة: عدد ٨٤٥ وعدد ٨٤٦.
١٥ـ البشير جريدة الأعداد عام ١٩١٩.
١٨ أيار ١٩١٩
٢٥ أيار ١٩١٩
١١ أيلول
١٨ تشرين أول.
٢٢ تشرين ثاني

عام ١٩٢٠
٦ أيار
٧ شباط
٣ نيسان
٢٠ نيسان
٢٩ نيسان
٥ أيار
٧ أيار
٨ أيار
١٣ كانون ثاني.

الفهرست

